

الفصل الثانى

المنطلقات النظرية للدراسة

القسم الأول: المنظور التاريخى التطورى لفهوم معنى الحياة فى الفلسفة وعلم الاجتماع :

أولاً - اسهامات الفلسفة

- ▶ الوجوديه.
- ▶ الفينومولوجية.
- ▶ فلسفة الحياة.
- ▶ الفكر الفلسفى للأديان.

ثانياً : اسهامات علم الاجتماع

- ▶ المجتمع والفرد.
- ▶ المعايير وفقدان المعايير.
- ▶ تماسك الجماعة الداخلى.
- ▶ التعاون والصراع.
- ▶ تنظيم الخبرة الإنسانية.
- ▶ تكوين الخبرات وشخصية الفرد.
- ▶ المعنى والمجتمع.

القسم الثانى : معنى الحياة فى علم النفس

- ▶ تمهيد.
- ▶ مفهوم معنى الحياة تمايز المفهوم.
- ▶ السياقات الخاصة بتكوين المعنى.
- ▶ كيفية تكوين المعنى.
- ▶ إرتباطات المعانى.
- ▶ توجيه المعنى.
- ▶ فقد معنى الحياة لدى الفرد وأسبابه.
- ▶ تأثير فقد المعنى على سلوك الفرد .

- ▶ الخبرات والمعاني.
- ▶ الجوانب الوجدانية في تكوين المعاني.
- ▶ الجوانب العقلية المعرفية وتكوين المعاني .
- ▶ معنى الحياة وبعض العوامل الديمجرافية.
- النوع .
- العمر .
- نوعية الحياة.
- أسلوب الحياة.

القسم الثالث: الشخصية ومتغيراتها :

- ▶ تمهيد :-
- ▶ نموذج العوامل الكبرى للشخصية "الوعاء العالمي للبنود".
- ▶ نموذج السمات المكونة لأبعاد ايزنك "بعد صلابة – مرونة التفكير"
- ▶ بعض متغيرات الشخصية .
- وجهة الضبط .
- الوحدة النفسية .
- قوة الأنا .
- ▶ معنى الحياة والشخصية .

القسم الأول: المنظور التاريخى التطورى لمفهوم معنى الحياة فى الفلسفة وعلم الاجتماع

أولاً - اسهامات الفلسفة :

- أ) الوجوديه .
- ب) الفينومولوجية .
- ج) فلسفة الحياة .
- د) الفكر الفلسفى للأديان

ثانياً : اسهامات علم الاجتماع.

- أ) المجتمع والفرد
- ب) المعايير وفقدان المعايير
- ج) تماسك الجماعة الداخلى
- د) التعاون والصراع
- هـ) تنظيم الخبرة الإنسانية
- و) تكوين الخبرات وشخصية الفرد
- ز المعنى والمجتمع

القسم الأول: المنظور التاريخي التطوري لمفهوم معنى الحياة فى الفلسفة وعلم الاجتماع

يعتمد كل علم من العلوم فى بنائه المتناسك على مدى تكامل المعلومات والبيانات الخاصة ببحثه، وبالتراكم المستمر لهذه البيانات . وعلم النفس بوجه خاص مبنى على تراكمات الأبحاث التى لا تأتى بمفاهيمها من فراغ فلها جذور درست من قبل. ويستفيد علم النفس دائماً من العلوم الإنسانية الأخرى التى تساهم بشكل جزئى فى نمو المفاهيم، ويأخذ علم النفس منها ما يناسب طبيعة الدراسة فيه وبما يفيد الإنسان الذى هو محور دراسته.

ومفهوم معنى الحياة من المفاهيم التى درست فى الفلسفة باعتباره أحد الجوانب الهامة جداً فى حياة الإنسان، فلا يمكن أن يعيش الإنسان دون أن يتساءل عن معنى حياته وجدواها. كما أن للمفهوم جذوراً فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كما أن للمفهوم وضعه الخاص فى الدين. ولذلك فقبل دراسة مفهوم معنى الحياة فى علم النفس، لابد وأن نعرض باختصار لكيف تناولته العلوم الإنسانية وخصوصاً الفلسفة وعلم الاجتماع.

ناقشت بعض العلوم الإنسانية (الفلسفة والاجتماع) مفهوم معنى الحياة والإنسان فى إطار كلى متكامل له حاضر، وماضى، ومستقبل يؤثر بشكل مباشر فى تكوين المعانى. كما ناقشت أثر الخبرة المعاشة والمكتسبة والوعى ودورها فى تكوين وإدراك الإنسان للمعانى، بل وكيفية مساهمة هذه الخبرات فى تكوين هذه المعانى، هذا فضلاً عن التساؤلات الخاصة: بوجود معنى واحد، أو عدة معانى لدى الإنسان، وسبب توجه الإنسان نحو السلوك المنحرف "المخدرات والمسكرات" إذا ما حدث أن فقد معنى حياته، وكيف يبحث الإنسان عن معنى يحيا من أجله ويعيش مسئولاً عن تحقيقه، والجوانب المكونة للمعانى الداخلية "الفسولوجية" كما فى الغضب والسرور، وأخيراً ارتباط معنى الحياة بإرادة الإنسان وفهمه لذاته وقابليته للتغير. وسوف نتعرض الباحثة فيما يلى لإسهامات الفلسفة وعلم الاجتماع.

أولاً: إسهامات الفلسفة

الإنسان فى كل زمان ومكان مبحث أساسى فى كل فكر وكل علم. فمنذ أن نشأ التفلسف وحتى الآن كانت الفلسفة تبحث، وتستنبط، وتحلل الإنسان ومظاهر الحياة وما يرتبط بهما كالتجمع، أو التاريخ، أو الظواهر بوجه عام، سواء أكان ذلك بشكل كلى أم جزئى. فقد اهتمت الفلسفة بالبحث فى قضايا ضرورية ومهمة لحياة الإنسان كالحق، والواجب، والخير، والجمال، والفضيلة، والحرية، وما يرتبط بها من معانٍ وسلوكيات.

وتنوعت المذاهب الفلسفية التى درست مثل هذه القضايا من زوايا مختلفة متمثلة فى عدة اتجاهات: كالاتجاه المادى "أو فلسفة المادة"، والاتجاه الروحى "أو فلسفة الفكر"، والاتجاه الحيوى "أو فلسفة الحياة"،

والاتجاه الفنونولوجى " أو فلسفة الماهية"، و الاتجاه الأنطولوجى "أو فلسفة الكينونة" و الاتجاه الوجودى " أو فلسفة الوجود". (زكريا ابراهيم، ١٩٦٨، ١١-١٣).

وتعتبر الفلسفة الوجودية وفلسفة الحياة والفلسفة الظاهرياتيه (الفينومولوجية) من أقرب الفلسفات التى قُتِم بدراسة الإنسان ككل من حيث هو موجود، وأن وجوده فى العالم مع آخرين، وما يشتمل عليه ذلك من دلالات. ولاشك أن معنى الحياة أحد هذه المعانى. ولا يمكننا أن نغفل فى هذا المضمار فلسفة الأديان من حيث ما تمثله للإنسان من معانى يحيا بها ولها. ولما كان موضوع الدراسة هو معنى الحياة فلا بد من البحث عن جذوره الفلسفية فى الفلسفات التى قُتِم بدراسة الإنسان وتركز عليه، لذلك ستقدم الباحثة باختصار للفلسفة الوجودية، والفلسفة الظاهرياتيه، والفلسفة الحيوية وفلسفة فكر الأديان من خلال إسهامات بعض ممثليها، وتقف على مدى الاستفادة التى يمكن أن تلقى بعض الضوء عند دراسة معنى الحياة فى علم النفس.

أ: الاتجاه الوجودي (أو فلسفة الوجود)

قد نجد صعوبة فى الحكم بصفة عامة على هذه الفلسفات أولاً بسبب تنوعها وبصفة خاصة بصدد سارتر وذلك بسبب تنوع الحلول التى أتى بها. فهناك التباس قائم بين الحرية والالتزام وبين النزعة التشاؤمية والعمل الاجتماعى وربما هذا الالتباس كان سبباً من أسباب قيمة هذه الفلسفات بل ونجاحها أيضاً وذلك لأنها تبرز لنا خصائص الإنسان. (جان فال، ١٩٥٨، ٢٣٢) وبشكل عام فالقلق والمسئولية وموقف الإنسان فى العالم والحرية والفعل الخالق كلها هى المعانى الكبرى التى تنطوى عليها الوجودية. ومن خصائصها: أنها تنبع من وجود الإنسان وتركز عليه. (عبد الرحمن بدوى، ١٩٦١، ٢. : راوية عبد المنعم، ١٩٨٦، ٢١٤-٢٤).

ومن هنا ترى الباحثة أن الوجودية اهتمت بالإنسان وأزمة وجوده ومسئولته والتزامه وحرية وموقفه من العالم، فالإنسان ليس مجرد شئ ولكنه كيان له قيمة كائن عاقل متمتع بإرادة حرة.

وفلسفة جان بول سارتر (J. P. Sartre) ليست تشاؤمية بل هى للتفاؤل، فالوجودية فهم لحقيقة الوجود ودعوة للعقل مع ذلك، فأنا عندما أفعل رغم علمى بحقيقة الوجود إنما أتحمّل مسئولية وجودى وأضفى معانى وقيماً لوجودى ووجود الآخرين. (عبد المنعم الحفنى، ١٩٦٧، ١. ٣) ويرى سارتر أن الأهواء والرغبات والانفعالات والعواطف من حيث إنها مظاهر للوعى تتميز بما يتميز به الوعى من خصائص وأول هذه الخصائص هى القصد أى التعلق بموضوع ما، فالأهواء تتعلق بموضوعها وتتجه إليه والاتجاه أو القصد هو شروع ومبادرة، فالأهواء هى أيضاً مثل الارادة شروع ومبادرة. (حبيب الشارونى، ١٩٨٤، ١٨٨-١٨٩) فالإنسان موجود

^١ وهى الحركة المعروفة باسم "الوجودية" ويمكن الارتداد بها إلى سورين كيركغارد Kierkegaard، ومارتن هيدجر M.Heidegger و كارل ياسر Jaspers، و جان بول سارتر J.P.Sarter، و جبريل مارسيل G.Marcel، وموريس ميرلوبونتي M.Merleau Ponty. وقد تأثر بهذه الحركة آخرون ولكن بعضهم لا يعتبر وجودياً معنى الكلمة ومهم جان فال وجان حريه والكيبه وموييه وجان لاکروا وندوسيل وغيرهم. (زكريا ابراهيم، ١٩٦٨، ص ١٢-١٣)

ليس فقط كما يتصور ذاته بل كما يريد لها بعد الوجود وليس في ذاته إلا ما يفعل، فالخطوة الأولى للوجودية هي أن نضع الإنسان أمام كينونته وأن نضع عليه مسئولية وجوده الكلية " وهذا غير ممكن إلا إذا كان الإنسان حراً أثناء صوغه لذاته أثناء شروعه بالوجود وإذا حصل لي أن أرفض كل تأمل وكل تقرير إرادى شخصى فإني مازلت مسؤولاً عن وجودى الذى يجرى في نوع من الظلمة ومسؤولاً أيضاً عن ماهيتى الحاضرة . ويرى سارتر أن الإنسان يختار ذاته باختياره أيضاً بقية الناس لهذا تكون مسئوليتنا أكثر بكثير مما نظن، لأنها تلزم الإنسانية جمعاء، فالاختيار عند سارتر لا يثيره أى شيء ولا يوجهه أى إنسان، بل يتم في مجال اللاوعى ممتزجاً بعفوية مطلقة. ويحتاج الإنسان في وجوده إلى قواعد وإشارات فإذا أنكر هذه القواعد ورفض رؤية تلك الإشارات فقد يفقد الطمأنينة، لأن اختياره لا يكون عندئذ مبيئاً على شيء. (لوك لوفافر، ١٩٥٤، ١٦ - ٣٢)

ويتبين من العرض السابق أن سارتر تكلم عن الإنسان ككائن عاقل واعٍ متمتع بإرادة حرة، يبحث عن معنى كماله، وهذا الكمال الإنسان مسئول عنه، كما أن الإنسان مسئول عن إختياره الذى يرجع إلى معان إنسانية مشتركة بين البشر.

وينظر سورين كيركجارد Kierkegaard للوجودية على أنها حاجة أو تعبير عن ميل يبلغ من العمق درجة يمكن معها أن يستعان به لتعريف شخصيته . (رجيس جولفيه، ١٩٦٦، ٣٢) وفهم الوجود لدى كيركجارد معناه الاهتمام به وهذا الاهتمام يدور حول الأسئلة التي وضعها كيركجارد : من أنا؟ وما معنى العالم؟ من أنا وكيف دخلت هذا العالم؟ وهذه الأسئلة ليست لها معنى لو لم يكن العالم أمراً متوقفاً على إرادتى. (عبد الرحمن بدوى، ١٩٦١، ٥٣). ويتحدث كيركجارد عن الحقيقة أن يجد الإنسان الفكرة التي من أجلها يريد أن يموت ويموت" ويقول "الحقيقة هي ذات الحياة التي تعبر عنها : هي الحياة في حالة الفعل" (رجيس جولفيه، ٣، ١٩٦٦).

ولليأس في فلسفة كيركجارد مكانه مهمة جداً، فلولاها لما استطاع الإنسان أن ينتقل من المدرج الحسى إلى المدرج الأخلاقي لن يختار ذاته ولما كان اختيار الذات مقولة أساسية في فلسفة كيركجارد كان اليأس مهماً جداً لديه حيث يقول "إذا لم ترد أن تكون شاعراً فحينئذ عليك أن تختار اليأس، فحتى اليأس اختيار . واليأس هو أشد تعبير عن التهديد بالخواء وانعدام المعنى، إنه أوج النمط الحسى في الوجود، والحياة الحسية تتبدى إذن عن يأس، وفي اليأس تعانى الذات ضياع الرجاء. لأن الإلهاء لا يزود المرء بعد الإشباع المؤقت هنالك يتبين لرجل الحواس أنه لا يستطيع أن يجد نفسه خارج نفسه لا في مساعيه نحو اللذات وإرضاء الحواس ولا في تجريدات تفكيره العقلى النظرى بل ينبغي عليه أن يتوجه إلى باطنه حتى يكشف ذاته الحققة وعليه أن يرتفع إلى الجسد والوجدان واتخاذ القرار والالتزام والحرية، فبالحرية وحدها يكون قادراً على أن يجمع ذاته بعد تشتتها في الوجود وعليه أن يصبح ذاتاً موحدة متكاملة . (سعد عبد العزيز، ١٩٧٠، ١٠، ٨، ١٠، ٩)

إذن فكثير كجاردا قد بحث في معاني كثيرة منها الوجود الذاتي والعالم والإرادة، وتكلم عن اليأس على أنه اختيار عندما يكون هناك خواء وتهديد وانعدام معنى . وأوضح أن الحقيقة أن يجد الإنسان الفكرة التي يجيها من أجلها.

وقد انشغل مارتين هيدجر M. Heidegger بمشكلة ومعنى الوجود ويرى أن السؤال عن ماهية الوجود يرتبط عن قرب بالسؤال : كيف يمكن الوصول إلى الوجود ؟ وبالتالي فإن الإجابة عن هذا السؤال سيؤدي بنا إلى الإجابة عن ماهية الإنسان، ولن نستطيع أن نفهمه إلا عن طريق وجودنا أو في صميم كينونتنا (علا مصطفى، ١٩٩٤، ٦٢-٦٥). ويرى هيدجر أن الإنسان موجود في العالم، وهو يعني بذلك وجود علاقة وثيقة أو رابطة عميقة قوامها الشعور بالاهتمام تجعل من المستحيل أن نتصور إنساناً بدون عالم أو عالم بدون إنسان . ويؤكد أن الوجود في العالم كما هو من مقومات الوجود الإنساني فكذلك يكون "الوجود مع الآخرين" فهو يؤكد على علاقتنا الجوهرية بالغير لأنه يجعل من الوجود البشري وجوداً مع آخرين (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٤٣١، ٤٢٧)

وإهتم هيدجر بالقلق والموت فالقلق عنده خبرة معاشة أو عاطفة وجودية تكشف لنا عما في نسيج وجودنا من هم وتضعنا وجهاً لوجه أمام العدم الذي يكمن وراء وجودنا . ويضفي عليه هيدجر دلالة وجودية وينسب إليه ضرباً من الفهم، فالقلق مرتبط بواقعة "وجودنا في العالم". وينظر للموت باعتباره داخلاً في النسيج الموجود البشري، يعين الذات على تفهم حقيقة وجودها باعتبارها "إنية" فريدة لا يمكن لأحد أن يقوم مقامها أو أن يحل محلها، فالوجود من أجل الموت هو شرط وجودي، يرى أن حد "المستقبل" هو الموت، وحد الماضي هو تلك الإمكانيات المعينة التي لم يتخيرها الفرد . ويحاول الإنسان أن يستجمع ذاته في الحاضر بالربط بين المستقبل والماضي، فالحاضر عنده لا يجيء إلا بعد "المستقبل" والماضي "باعتباره نقطة تلاقي حركتين هما: الذات نحو الأمام وحركتها نحو الخلف . (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٤٣١-٤٤٤)

من العرض السابق يتضح أن هيدجر لا يتصور إنساناً بدون عالم أو بدون آخرين. فهو يؤكد علاقتنا الجوهرية بالغير. ويؤكد الخبرة المعاشة من خلال تصوره عن القلق، الذي يخلع عليه دلالة وجودية وينسب إليه ضرباً من الفهم، لأنه يوجه الكائن الحي إلى إمكانيات الذات الخاصة به. وعنده الوجود من أجل الموت هو شرط للوجود وهو يرى أن حد "المستقبل" هو الموت ويحاول الإنسان أن يستجمع ذاته في الحاضر فالحاضر عنده لا يجيء إلا بعد "المستقبل" والماضي "باعتباره نقطة تلاقي حركتين هما الذات نحو الأمام وحركتها نحو الخلف .

وتتبع فلسفة كارل ياسبر Jaspers أولاً وقبل كل شيء من إحساسها الدرامي بالتناقض الباطن في أعماق الوجود، فهذه الفلسفة تحدثنا عن المعقول واللامعقول وتكشف لنا عن الاستقطاب الحاد القائم بين الوجود

الذاتي والوجود الموضوعي، وتبين تلك العلاقة العجيبة القائمة بين الحرية والضرورة (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٤٧٨-٤٧٩). وقد أثار ياسبرز مسائل كبرى انتهت إلى البحث في المعاني التالية : الوجود /الاتصال بين الإنسان والإنسان/الحرية /العلو /رموز العلو/الإخفاق. (عبد الرحمن بدوي، ١٩٦١، ٦٤-٦٥)، كما ميز ياسبرز من الناحية الشكلية بين "الكيونة الموضوع " الكيونة الذات والكيونة في ذاتها . ويميز بين الكيونة الخاصة والمحددة ولكنها ليست خاصة ومحددة بصورة تامة قط، إنما تسعى بدون انقطاع إلى التوجه بحسب يعطى الأهداف، وهي مرتبطة ببدن لا يمكن تفسيره هو ذاته إلا بمجموع الحياة (جان فال، ١٩٥٨، ٨١)، والإنسان في كل مكان ملك الوعي بالوجود في شموله وبدائته، وإذا ملك الوعي بحدوده حدد لنفسه في عين الوقت أعلى الأهداف وقد التقى بالمطلق في عمق الكائن العاقل في وضوح التعالي. كما أن الإنسان نتاج للطبيعة ، وهو كذلك نتاج للتاريخ يدرس بالسعي لفهم المعنى الذي جعله الناس لأفعالهم وخواطرهم، وبتفسير الأحداث بالبواعث والمواقف بالمعطيات الطبيعية (كارل ياسبر، ١٩٦٧، ١٢٣-١٨٠).

بحث ياسبر في عدة معانٍ كبرى خاصة بالإنسان :الحرية ،والعلو ،الخفاق ،الضرورة ،الوعي . ويرى أن الإنسان نتاج الطبيعة والتاريخ الذي يدرس فهم المعنى الذي جعله الناس لأفعالهم . بينما يؤكد جيريل مارسيل Marcel أن الإنسان "بدن" أو "ذات متجسدة" قبل أن يكون أى شيء آخر والجسم الحى في نظر مارسيل ظاهرة أساسية في كل تفكير ثانوى أو استرجاعى، وآية ذلك أن التفكير الثانوى يكشف لى عن وجودى بوصفه "وجوداً متجسداً" وحين يتحدث مارسيل عن التجسد فإنه يعنى به أن المرء يدرك نفسه باعتباره جسماً وأن الجسم هو حلقة الاتصال بين الذات المفكرة والعالم الخارجى فأنا أدرك نفسى باختبارى "متجسداً في بدن" هو نواة كل موقفى الوجودى. ومعنى ذلك أننى لا أملك أن أفضل شعورى بذاتى عن إحساسى بجسمى وإدراكى للعالم الخارجى. وعندما أقول عن شىء ما أنه موجود فإننى أعنى بذلك أن هذا الشىء قابل للاتصال بجسمى والتأثير منه سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم غير مباشرة (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٤٩٣) ويردد جيريل مارسيل عدداً من المعانى منها فكرة التكامل، وهى من الأفكار الجديدة بمزيد من الإيضاح فحين نقول عن شخص إنه متكامل فإننا نقصد الشخص المالك لنفسه تماماً ونحن نعلم كيفية فقد الذات لذاتها من تعاطى المخدرات أو الكحوليات أو أى نوع من استلاب الذات لذاتها، والمهم أن يسترد الإنسان ذاته أى امتلاكه لذاته تماماً. (عبد الرحمن بدوي، ١٩٦٦، ٦٤) ويقول مارسيل إن الرفض ممكن دائماً والانهيار إلى هاوية اللامعقول ميسرة للجميع والاستسلام للعبث والحال أمر سهل هين، وإنما العبرة بأن يحسن المرء الاختيار وأن يحاول فهم "المعنى " الذى يكمن من وراء "الواقعة الغفل" وأن يعتمد إلى البحث عن القيم من خلال "الحقائق الموضوعية " وأما حين يغلق المرء عينه إغلاقاً وحينما يسد أذنه عمداً فهناك لمن يمثل أمامه إلا العدم . (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٥٠، ٢)

تكلم مارسيل عن الإنسان كذات وكبدن وقابليته للتأثير والتأثر بالعالم الخارجى، وأن الإنسان يحاول أن يفهم المعنى الذى يكمن من وراء الواقعة ويبحث عن القيم . ويرى أن التكامل هو الذى يجعل الإنسان مالك نفسه وغير فاقد لذاته، ولو فقد ذاته فهو يتجه نحو المخدرات والمسكرات .

ويرى موريس ميرلو بونتى M. Merleau Ponty أن الإنسان هو الذى يضى على حياته معناها ومستقبلها، ولكن هذا لا يعنى أن هذا المعنى وذلك المستقبل هما ليسا مجرد مفهومين متصورين، بل الواقع أنهما ينبثقان من حاضر وماضى الإنسان وبصفة خاصة من طريقتيه فى الجمع بين هذا الحاضر وذلك الماضى فى وحدة حيه، بل الأكثر من ذلك أن لكل شىء معنى، ولأنه ليس علينا سوى أن نتوصل إلى وصف تلك المعانى أو الماهيات . وقد حاول ميرلو بونتى فى دراساته الفينومينولوجية الأخيرة الوصول إلى وصف ماهيات أخرى منها: باب المعرفة أو الخبرة أو الإدراك الحسى كماهيات التواصل المشاركة الحضارة التاريخ (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٥٦، ٥٤٧) فالخبرة الإدراكية هى وحدها الواقع الأصيل والمؤسس، حيث يلتقى الوجود مع المعنى والحياة والموت بشكل مباشر وواقعى وقد حاول ميرلو بونتى توضيح مشكلة (الوعى الإدراكى) فى إطار العلاقات بين الروح والجسم وضرورة وقوف الفكر الفلسفى وجها لوجه أمام الظواهر وفى ظهور المعنى من خلال الإدراك الحسى باعتباره أول علامة للمعنى فى السياق غير المكتمل للعلم (علا مصطفى، ١٩٩٤، ١، ٥)

ويؤكد ميرلوبونتى عند شرحه "فينومينولوجية الجسم" أنه كما أن القول يعبر عن الفكر فكذلك الجسم يعبر عن الوجود، وإذا كان الوجود بطبيعته "غير متجدد" فذلك لأنه فى صميمه مجرد عملية من شأنها أن تسمح لما لم يكن له معنى بأن يكتسب ماهية ومعنى وليس للفكر "باطن"، لأنه ليس من شأن الفكر أن يُوحّد تعبيراً عن العالم أو خارجاً عن الألفاظ فالمعنى يسكن اللفظ، والفكر لا بد من أن يتجسّم فى عبارات، ولما كان الجسم فى صميمه "تعبيراً" فإن لكل فعل إنسانى "معنى" وميرلو بونتى يتلاعب باللفظ الفرنسى (الذى يعنى على التوالى: الحس والمعنى والاتجاه) فيقول إن الوجود البشرى تعبير والتعبير استخراج للمعانى المؤقتة من "الاتحد" الذى من شأنه أن يظل كذلك. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٥٥١) ويرى ميرلوبونتى ان علينا أن ندرك أن (المادة والحياة و الفكر هى ثلاثة أنظمة للمعنى) والإنسان عنده "موجود فى العالم" وهو لا يعرف نفسه إلا فى داخل العالم وعبثاً أحاول أن أبحث فى صميم ذاتى عن مركز خاص تنبع منه الحقيقة "الباطنة" فإننى لن أجد سوى ذات مفتوحة قد جعلت للعالم. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٥٤٦)

تكلم ميرلو بونتى عن الخبرة التى يعيشها الفرد حيث أن الإنسان يدرك معظم أفعاله ويحاول إيجاد دلالات لها. ويمكن فهم الإنسان من خلال وجوده فى العالم الذى يضى على حياته معنى وأن لكل شىء معنى وأن لدى الإنسان معارف لا شعورية ولكى يكتشف العالم لا بد أن نكتشف هذه المعانى. ويرى أن لكل فعل إنسانى معنى.

كانت الفينومينولوجيا الفلسفة التي ستحقق ميلاداً جديداً للعقل وتتمثل في دراسة الظواهر التي تظهر أمام الوعي، ومن هنا كان شعار "العودة إلى الأشياء ذاتها": أى الأشياء كما تبدو في الأصل أمام الوعي، ولم تكن الفينومينولوجيا تقصد أن تكون وصفية، تصف الوعي وأفعاله، فالعالم الذى يدرك باعتباره عالماً إنسانياً وذا معنى يتم فهمه على أنه مكون من الوعي، فالوعي موجه أساساً في أفعاله نحو العالم ومظاهره نحو العالم وكل أفعاله تمتلك قطباً ذاتياً هو الوعي نفسه وقطباً موضوعياً هو العالم، فوجد هوسرل^٤ E Husserl قد قام بدراسة ووصف ماهية الخبرة التي تقوم عليها العلوم وذلك لتوضيح كافة العلوم داخل ولا عن الخارج بل عن علاقة "التوجه نحو" فالقصد ليس علاقة بين ذات وموضوع وإنما هو طابع يميز الوجود بدءاً بالمنطق، كما أبرز هوسرل مبدأ القصدية واعتبره اتجاهها للوعي نحو الأشياء المقصودة ونجد أن كلامه ليس عن الوعي، وبعبارة أخرى فإن القصدية تميز أسلوب الوعي في الوجود أو هي نحوه في الوجود. (علا مصطفى، ١٩٩٤، ٤٧-٥١)

ويهتم هوسرل في كتابه "الأفكار" بدراسة نشاط الذهن أو حياة الوعي فقد أفرد صفحات طويلة لدراسة شتى أشكال النوتريس (أى الاتجاهات الذاتية للخبرة) لكي تحدثنا عن المعنى /العاطفة/الإرادة/والعلاقة بين الانفعالات. . . إلخ " ولا ينكر هوسرل وجود العالم فهو بالضرورة "عال" على الشعور، وأنه لا بد من أن يظل كذلك حتى في صميم تلك البدهة اليقينية الأصلية. ولكنه يقرر في الوقت نفسه أن هذه الحقيقة لن تغير شيئاً بالنسبة إلى الشعور: لأن أى موضوع عال لا يتكون إلا في نطاق حياة الوعي أو الشعور بوصفه مرتبطاً ارتباطاً لا انفصام له بصميم هذه الحياة، وبالتالي فإننا حتى إذا تصورنا حياة الشعور على أنها شعور بالعالم فإن هذه الحياة مع ذلك تشتمل في ذاتها على "وحدة المعنى" المركبة لهذا العالم وتبعاً لذلك فإن في وسع الفينومينولوجي أن يلقي الكثير من الأضواء على معنى واقعية العالم "وعلوه" أو "مقارنته" عن طريق توضيح آفاق الخبرة الواعية وهكذا يتحقق الفيومونولوجي من أن واقعية العالم ومفارقته لا تنفصلان قط عن "الذاتية الترنستندتالية".

^١ - نشأ هذا الاتجاه - نأدى دى بدء - على يد مايبوئح (1853-1921) A.Meinung، ثم لم يلبث أن تلور على صورة "فلسفة طواهر" عند هوسرل (1859-1938) E.Husserl الذى أثر تأثيراً كبيراً في عدد غير قليل من فلاسفة القرن العشرين، وفي مقدمتهم دعاة الاتجاه الوجودي. ومن أشهر المعبرين عن هذه النزعة ماكس شلر M.Scheler (1874-1928) الذى طبق المنهج الفينومينولوجي على الظاهرة الأخلاقية فأدخله بذلك إلى مجال القيم. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ص١٢) كما أنه ليس من السهل أن نجد تعريفاً جامعاً مانعاً للفينومينولوجيا ولكنها قد نستطيع القول بصحة عامة إنها منهج يحصر في وصف الظاهرة أو وصف ما هو معطى على نحو مباشر. وقد قرر هوسرل في المقال الذى كتبه لدائرة المعارف البريطانية أن كلمة فيومينولوجيا تشير إلى منهج جديد في الوصف الفلسفي وهو ذلك المنهج الذى يهدف إلى إقامة نظام سيكولوجي أولى يكون بمثابة ركيزة متينة لإقامة علم نفس تجريبي من جهة ولوضع فلسفة كلية شاملة تكون بمثابة معيار لمحص منهجي لسانر العلوم من جهة أخرى. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ص٣٢٩)

^٢ - الظاهرياتييه منهج وصفى يتعلق بالوصف لا بالتفسير ولا بالتحليل، والفيلسوف يحاول أن يفكر في العالم، وفي الغير وفي ذاته. ويتصور شكل العلاقات بينهم والفلسفة الحقيقية هي تلك التي تعيد تعليم الناس كي يروا العالم فحكاية يمكن أن يكون لها مدلول عن العالم من العمق ما يوازي كتاباً في الفلسفة. (بيكون، ١٩٦٥، ٩٩-١٠٠)

^٣ - حضع لبعض المؤثرات الكاتيه وتلمذ على يد برنانو صاحب الفلسفة الماهية.. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨)

ويقرر هوسرل أن أى معنى أو أى وجود يكون جزء لا يتجزأ من الذاتية الترنستندتيالية التى تتركب كل معنى وكل وجود وتحاول نحن إدراك عالم الوجود الحقيقى بوصفه شيئاً قائماً خارج عالم الوعى والمعرفة والبداهة الممكنة . وما دامت الذاتية الترنستندتيالية هى عالم المعنى الممكن فإن أى شىء خارج عنها لن يكون إلا مجرد "لا معنى" ولكن إلا معنى نفسه ليس إلا صورة من صور "المعنى". (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٣٥٦ - ٣٥٩) كما اهتم هوسرل بدراسة ووصف ماهية الخبرة التى تقوم عليها العلوم وذلك لتوضيح كافة العلوم بدءاً بالمنطق وهذه الدراسة لو تمت بشكل فعال فسوف تؤدى إلى نظرية المعرفة. وقد أبرز هوسرل مبدأ القصدية واعتبره اتجاه للوعى نحو الأشياء المقصودة ونجد أن كلامه ليس عن الداخلى ولا عن الخارج بل عن علاقة "التوجه نحو" فالقصد ليس علاقة بين ذات وموضوع وإنما هو طابع يميز وجود الوعى، وبعبارة أخرى فإن القصدية تميز أسلوب الوعى فى الوجود أو هى نحوه فى الوجود إنما للحظية الماهوية التى تمثل وجوده. (علا مصطفى، ١٩٩٤، ٥٠ - ٥١)

وهنا نجد أن هوسرل قد أكد أن الخبرة تؤدى إلى نظرية المعرفة، وأن دراسة الاتجاهات الذاتية للخبرة تحدثنا عن كل من المعنى /العاطفة /الإرادة/العلاقة بين الانفعالات. وأن الخبرة الواعية توضح أو تلقى الضوء على واقعية العالم وعلوه وواقعيته لا تنفصل عن الذات الترنستندتيالية. والمعنى أو الوجود جزء لا يتجزأ من الذاتية الترنستندتيالية التى هى عالم المعنى الممكن.

وقد حاول ماكس شيلر^٥ M. Scheler أن يطبق المنهج الفينومينولوجى على الحياة الوجدانية، كما قدم وصفاً فينومينولوجياً ممتازاً للأخلاق والقيم والدين والحجة . . . إلخ، ورغم شهرة شيلر فى الكتابات الأخلاقية إلا أن له دراسات عميقة فى نظرية المعرفة، ومشكلة القيم، ومكانة الإنسان فى العالم (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٣٩٣ - ٣٩٤). ويرى شيلر أن تاريخ العالم هو تحقيق لإرادة العالم، وما نوابغ التاريخ إلا أدوات اتخذتها تلك القوة العالمية لتنفيذ أغراضها، وإن توهموا أنهم يحققون أغراضهم الشخصية (أحمد أمين، زكى نجيب محمود، ١٩٣٦، ٣٧٧).

قسم شيلر المعرفة الموجودة لدى الإنسان إلى ثلاثة ضروب، معرفة استقرائية: تنصب على العالم الخارجى الذى له وجود حقيقى، معرفة أولية: تنصب على الماهية والمعرفة بكل ما هو موجود، معرفة ميتافيزيقية: أى العلم الذى يدور حول الخلاص أو النجاة وموضوعه المشكلات التى تقع على حدود العلم (كأن يتساءل المرء: ماذا عسى أن تكون الحياة؟)، وميتافيزيقا المطلق؛ الذى تستمد أصولها من الأنثروبولوجيا الفلسفية التى يثيرها التساؤل ماذا عسى أن يكون الإنسان؟. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٣٩٧ - ٣٩٩).

فالشخص عند شيلر ينطوى على معانى القدرة السليمة على استخدام التفكير والنضج النفسانى وملكة الاختيار. المعرفة عنده تجمع بين معرفة تنصب على العالم الخارجى والمعرفة بكل ما هو موجود، والمعرفة الميتافيزيقية

^٥ من تلاميذ هوسرل وأكثرهم أصالة وأحصيهم تفكيراً والواقع أن شلر جمع فى فلسفته عدة اتجاهات فلسفية متباينة منها فلسفة الحياة على نحو ما عبر عنه نيتشه وبرجسون ودلتاي وفلسفة الروح على نحو ما عبر عنه القديس أوغسطين وبسكال، فضلاً عن إعجاب به سوزا وأنتالون (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨)

عن الحياة والإنسان. العالم يتكون من أفراد الذين هم أدوات لتنفيذ أغراض العالم. ولا تفهم الأفكار والأفعال إلا بالرجوع إلى الأهداف الإنسانية.

(ج) : الاتجاه الحيوي (أو فلسفة الحياة)

يحاول فلاسفة الحياة تفسير الواقع كله بوسيلة مفهوم الحياة، وعلى الرغم من وجود اختلافات قوية فيما بينهم إلا أنهم يجتمعون على أنهم كلهم فعليون، أو عملون، يتصورون الواقع على نحو عضوي، فالعالم حياة عملية فاعلة ويظهرون ميلاً للتعددية (أى القول بأن الوجود ليس واحداً بل موجودات متعددة) والاتجاه الشخصاني بمعنى الاهتمام بالإنسان في هيئة الشخص وليس مجرد الكائن الحي فيه (بوشتبسكى، ١٩٩٢، ١٧١-١٧٢) فنجد برجسون يجيب عن التساؤل الخاص بمعنى الحياة والوجود، "إنه بالنسبة إلى الموجود الواعي أن يوجد هو أن يتغير، وأن يتغير هو أن ينضج، وإن ينضج هو أن يخلق نفسه باستمرار" ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن الوجود بوجه عام. ويرى أن "الحياة منذ نشأتها، هي استمرار لسورة واحدة توزعت بين خطوط مختلفة للتطور تنمو وتتطور بسلسلة من الإضافات التي كانت ألواناً من الخلق وهذا النمو نفسه هو الذى أدى إلى انفصال الميول التي لم تكن تقدر على النمو بعد نقطة معلومة دون أن تصير غير متوافقة فيما بينها. ويتم تطور الحياة أو إذا إنعدم وجود فرد وجيد يمكن أن نفترض كثرة من الأفراد يتوالون في سلسلة على خط واحد. (بنروي، ١٩٦٧، ٢٨٨-٣٢٠).

ربط برجسون بين الجسم والظواهر النفسية من حيث إن الجسم يترجم الظواهر النفسية. كما تقاس الظواهر النفسية بما يقرن بها من الظواهر الجسمية التي تصاحبها. وذهب إلى أن الحياة النفسية جذورها من الباطن والحاضر والمستقبل، كما لا بد وأن تحدد بالكم والشدة. والعقل والحواس ليسا وحدهما الأداة الواحدة الصالحة لإدراك الحياة، أى أنه ليس بالعقل وحده يدرك الإنسان الحياة ومعانيها. كما أن - التاريخ الشخصى مهم جداً في تطور الحياة.

وقد حاول **جول لاشليه Lachelier** أن يضيف على مذهبه الروحي طابعاً إرادى الرعة والى مذهبه الإرادى طابعاً روحياً، ويقول نحن أحرار لأننا ذات (أنا) والإحساس يمكن أن يوصف بأنه حر بمعنى أنه لا يستمد طبيعته إلا من ذاته، وبالأحرى فالإرادة حرة. فعناصر الشعور لا تتوالى من الإدراك إلى الإرادة بل العكس من الإرادة إلى الإدراك. ويرى أيضاً أننا يجب أن نبحث عن الله في أنفسنا فالحياة الدينية في نظره هي الصورة العليا للحياة الروحية. (بنروي، ١٩٦٧، ٤٦-٥٥)

^١ ويعبر عن هذا الاتجاه هنرى برجسون (1858-1941) H.Bergson الذى تتلمذ على يدى كل من لاشليه lachelier وبنوترو Boutroux ثم إدوار ليررا Le Roy الذى يعد حبر معبر عن الروح البرجسونية فى فرنسا (وان كان قد تزعم حركة ألودورنزم المشهورة فى مضمار الدراسات المسيحية الكاثوليكية). ومن الممكن ان تدخل فى عداد فلسفات الحياة مذاهب متعددة فى ألمانيا مثل مذهب دلتاى (Dilthey (1833-1911) واشبنجلر (Spengler (1880-1936) وكلاجس Clages وغيرهم. وأما فى البلاد الانغلو ساكسونية فى الفلسفة الرجمانية Pragmatisme التى دعا إليها كل من بروس ووليم جيمس (1842-1910) قد ظلت حية على يد جون دوى (Dewey (1859-1952) وتلاميذه فى أمريكا. (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨ ص ١١).

ونجد حول لا شليه يؤكد على أهمية الإرادة والتي يصفها بأنها حرة، وأن عناصر الشعور تتوالى من الإرادة إلى الإدراك. وأن العالم يخضع لمبدأ القائمة وهذا ليس من وضع الفكر الإنسانى لأنه غائى أيضا نحو الخير.

واعتبر دلتاى Diltthey أن الحياة الموضوع الوحيد للفلسفة وكفيلسوف تجريبى رفض أى معنى للتعال: فلا يوجد أى شىء يتجاوز الحياة ولا يوجد شىء فى ذاته كما لا يوجد أى مطلق ميتافيزيقى أو فردوس أفلاطونى. وبالتالي لا يمكن معرفة الحياة إلا من الداخل، لأنه لا وجود لبداية مطلقة للفكر أو لهيكل من المعايير المطلقة خارج الخبرة. ويرى أن ما نعيشه ونختبره بالفعل هى الحياة نفسها فى غناها وتنوعها ولا يعنى بالنسبة لدلتاى أن ما نعيشه ونختبره بالفعل هى الحياة نفسها فى غناها وتنوعها وهذا لا يعنى بالنسبة له النظر إلى الأفراد وحدهم وإنما الهدف هو الوصول إلى نظرة شاملة للواقع. ومن هنا يبدأ من المعانى التى يضيفها البشر على عالمهم. ويصبح جزءاً من الحياة ومتأثر بظروف عصره، ويصبح مصدر قوة فيستطيع التوصل إلى المعنى عن طريق خبرته الخاصة. فهو يدرك عمل عقله وكيف تولد الأفكار إحساسات ثم كيف تتحول الاحساسات إلى ميول. فالفيلسوف مثل غيره من البشر يستخدم نفس المبادئ من أجل تنظيم خبرته الخاصة، ويسمىها دلتاى مقولات الحياة. ويعتبر تحليل هذه المقولات حجر الزاوية فى فلسفته. وقد كان دلتاى أول من أثار موضوع الفهم الذاتى بطريقة واعية وفى سياق اجتماعى لم يكن قد اتضح تماما بعد ولم يكن يسع دلتاى كشاعر إلا أن يرى الفرد بخبرته وشعوره وفهمه كممثل للواقع الإنسانى. ويتضمن الفهم الذاتى فى رأيه عناصر عدة منها المشاركة الوجدانية والتعاطف ثم عملية استعادة الخبرة وإعادة بناء الحياة. (علا مصطفى، ١٩٩٤، ٢٦-٢٧)

وهنا يؤكد دلتاى أن المعانى التى يضيفها البشر على عالمهم تصبح جزءاً من الحياة، وأن الإنسان يتوصل إلى المعانى عن طريق خبرته الخاصة من خلال إدراكه لكيفية إعمال عقله وكيفية توليد الأفكار لإحساسات، وكيف تتحول هذه الإحساسات إلى ميول. ويتم الفهم الذاتى بطريقة واعية من خلال عدة عناصر منها: المشاركة الوجدانية، التعاطف وعملية استعادة الخبرة وإعادة بناء الحياة.

ويرفض وليم جيمس الغموض والمذاهب المثالية ولكنه هو نفسه صاحب فكر مثالى جرىء وإنسانى، اعتاد دائما البحث عن المعانى العميقة للخبرة ومع هذا كان ينكر أن الخبرة لها أى معنى آخر أبعد منها أو أن هناك أى خبرة نهائية وأخيرة، وقد أزدرى فكرة التقدم الضرورى ولكنه صاغ فلسفة حجر الزاوية فيها الاعتقاد بأن إرادة الإنسان ورغبته يمكنهما خلق مستقبل قادر على أن يحقق إشباعاً أكثر من الماضى والحاضر. (دافيد مارسيل، ١٩٧٨، ٣٠١)

ويناقش وليم جيمس عدة مفاهيم وقضايا ومعانى فى فلسفته ومنها: إرادة الاعتقاد - الشر - الحرية - التغيير - الصيرورة - الجدة. فأرادة الاعتقاد تعبر عن قدرة الإرادة الإنسانية على الفصل فى الكثير من المسائل الأخلاقية والدينية بالرجوع إلى التجربة نفسها حيث يستحيل العقل أن يقدم الأدلة النظرية ما يكفى للفصل فى تلك المسائل. والحرية عنده بمثابة صورة الجدة أو الأصالة (زكريا إبراهيم، ١٩٦٨، ٤٢-٤٨)

يتضح مما سبق أنه يمكن للإنسان أن يخلق مستقبلاً قادراً على تحقيق الإشباع أكثر من الماضي والحاضر بإرادته ورغبته. كما يرى أن بالعقل وحده لا يستطيع الإنسان تقديم الأدلة النظرية للمسائل الأخلاقية والدينية إذ يلزمها إرادة الاعتقاد التي تعبر عن قدرة الإرادة الإنسانية . ويشير إلى أن المخاطرة المستمرة (وهي في داخلها إرادة) ليكسب الحياة معنى ومذاقاً

ويرى جون ديوي Dewey أن الخبرة مرشداً لنا في العلم وفي الحياة الأخلاقية وإلى بيان طريقة ذلك، تؤدي الخبرة في النهاية إلى تكوين بصرية معينة عامة وقدره معينة منظمة في العمل. وتشمل الخبرة ذاتها العملية التي توجه بها نفسها في سبيل تحسينها وترقيتها فنحن نستغل خبراتنا السابقة لننشئ بها في المستقبل خبرات جديدة. ومادة الخبرة الحقة ليست غير أفعال وعادات ووظائف نشطة فعالة وارتباطات بين الفعل والمعاناة وتنسيقات حسية حركية فالخبرة تحمل في ذاتها مبادئ الربط والتنظيم اللازمة (جون ديوي، ١٩١٩، ١٥٨-١٨٠). وذهب ديوي إلى أن أفكار الفرد وتصرفاته جزء أصيل من عملية دينامية اجتماعية تاريخية معاً وأن الفلسفة لهذا السبب تعد نشاطاً اجتماعياً وأن عقول البشر تعمل على نحو فردي وجماعي على تحسين علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية والاجتماعية. (دافيد مارسيل، ١٩٧٨، ١٤٤) وأن كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغير إذا دعت الضرورة إلى تغييره (ذكي نجيب محمود، بدون، ١٩٨)

وهنا يؤكد ديوي على أن بكل شيء في حياة الإنسان قابل للتغير إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وأن الحرية والمساواة مرهونة بالتعاون مع الآخر. كما أن عقول البشر تعمل على نحو فردي وجماعي لتحسين الإنسان لبيئته.

د : الفكر الفلسفي للأديان

١/٤ معنى الحياة في الفكر الفلسفي الإسلامي

يرى الفارابي أن العلاقة مع الآخر جزء من العلاقة مع النفس ومع الله الآخر المطلق لذلك ميز بين خمس علاقات مع الآخر ابتداء من معرفة الخالق ونهاية بمعرفة النفس وتوسيطاً بالعلاقة بين الرئيس والند والمرؤوس وهو سيبدو عزيزاً بالنسبة للفلسفة الإشرافية التي تبدأ بمعرفة النفس ثم معرفة الله. (حسن حنفي، ٢ . ٢ ، ٢٧٤). ويرى الغزالي أن المحك الأخير للمعرفة هو وضوح المعاني وبداهتها. وفي إثباته روحانية النفس يقول أن النفس تدرك المعقولات أي المعاني الكلية المجردة عن كل طابع حسي. (محمود قاسم، ١٩٤٩، ٩٦) ويشير الكندي أن النفس الإنسانية الحبوسة في سجن البدن المادي تعاني آلام الغربة وتترع دائماً إلى العودة إلى أصلها الإلهي ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالتأمل والزهد ومقاومة الشهوات الجسدية الحسية، والارتفاع إلى عالم الروح حيث

تتمتع النفس بالسعادة الروحية (عبد فراج، ١٩٦٩، ٨٦) وهدف الكندي هو السعادة في عالمنا هذا وفي العالم الآخروى العالم الباقي عالم الخلود (عبد الحليم محمود، ١٩٨٩، ٢٣٤)

والفلسفة عند ابن باجه هي النظر العقلى الذى يمكن الإنسان من إدراك وجوده الحقيقى ويهيبى له أسباب تدبير حياته تدبيراً حكيماً، على حين أنها عند الغزالي معرفة يقذفها الله في قلب الإنسان حتى ينعم بالبهجة والسعادة . كما أن مفهومه عن الدولة الفاضلة كان وسيلة لإصلاح العادات والأخلاق لتحقيق الوجود الإنسانى على أكمل صورة في كل فرد. كما يتكلم ابن رشد عن القوة الناطقة فيبرهن على وجود القوة الناطقة بتأمل أنواع الإدراك فالإدراك في نظره نوعان : أحدهما شخصى والآخر كلى أما الإدراك الكلى فهو إدراك المعنى مجرداً من الهيولى ويسمىها قوة النطق أو العقل، ويرى أن الإنسان محتاج إلى قوة أخرى غير القوى الحسية وهى القوة التى يدرك بها المعانى المجردة من الهيولى، فيركب بعضها إلى بعض ويستنبط بعضها من بعض حتى يلتئم من ذلك صنائع كثيرة ومهن هى نافعة في وجوده، وذلك إما من جهة الاضطرار فيه وأمام جهة الأفضل. ومعنى ذلك أن القوة الناطقة لم توجد في الإنسان من أجل سلامته فقط بل وجدت فيه من أجل وجوده الأفضل . (جميل صليبا، ١٩٧١، ٣٥١-٤٩٤) والمراد بالمعاني عنده ما لا يستدعى وجوده جسماً ولكن قد يعرض له أن يكون في جسم كالعداوة والمواقفة فإن الشاه تدرك من الذئب لونه وشكله وهياته وذلك لا يكون إلا في جسم. (ابن رشد، ١٩٩٩، ٨١٤) ويرى أن العقل العملى هو الذى يدرك المعانى المتعلقة بالعمل أو المعانى التى تحصل فيها بالتجربة والتجربة تكون بالحس أولاً وبالتخييل ثانياً. (جميل صليبا، ١٩٧٥، ٤٩٥). والإنسان موجود أخلاقى عند مسكويه فهو الموجود الوحيد الأخلاقى حيث أن مراتب الوجود تتفاوت بين مرتبتين طبقاً للشائية المتطهرة والتصور المثالى للعالم: البهيمية والإنسانية فالإنسان هو الوحيد الموجود الأخلاقى الحر كما هو الحال عند كانت وقتشيه. (حسن حنفى، ٢ . ٢، ١٣١-١٣٢)

٢/ معنى الحياة في الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط

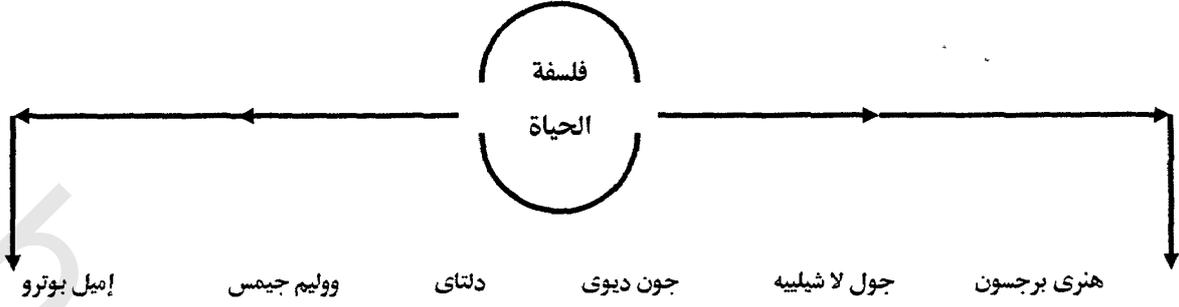
ومن أشهر فلاسفته الفيلسوف أغسطين والفيلسوف توما الأكويني. وهما يعتبران ان المسيحية هي الفلسفة الحقه وهى التى توصل إلى الحكمة والسعادة. وهى التى تجعل للحياة معنى وهدفاً. ويرى أوغسطين أن الثقافة الحقيقية هي التى تدرك الوحدة بين العلوم وتسمو بنا إلى الخالق، إلا أن الثقافة تبقى عقيمة ما لم تنضم إليها الإرادة الأخلاقية، والعقيدة الدينية (محمد غبريال، ١٩٥٩، ٢٢٦) وتأثر أوغسطين بالأفكار الأفلاطونية الجديدة وكانت المسيحية في نظره الفلسفة الحقة والسعادة عنده هي الاستمتاع بالحقيقة والحكمة التى توصلنا إلى الحقيقة والإيمان هو الذى يمدنا بالأساس الذى يبدأ منه طلب الحكمة. ويرى أن الكلمة هي طريق العودة أمام الإنسان إلى الكلمة التى هي حق وهى الطريق قدماً إلى المسيح المرفوع إلى السماء الذى هو الحياة. وكانت من تعاليم أوغسطين في الرحمة الإلهية ولا سبيل إلى تبرير الحرية الإنسانية إلا إذا سلمنا تسليماً غير مشروط بأنها مستمدة من الحرية الإلهية (فؤاد كامل وآخرون، ١٩٦٣، ٧٤-٧٦). ويسوى توماس الأكويني بين النفس والعقل فيقول:

إن جوهر النفس الإنسانية عقل محض يتصل بالبدن ويتخذ آلة له في الوصول إلى المعرفة فليست النفس إذن مجرد صور كباقي الصور. (محمود قاسم، ١٩٤٩، ص ١٧٨) وقد توافق السبب بين القديس توما الأكويني وفلاسفة المسلمين في اللقاء الفكري لأن كليهما يغلب عليه طابع الطهارة العقلية، فالطهارة عاطفة دينية تنشأ من تصور وجود الله أو ينشأ تصور وجود الله عنها كعلة أولى للموجودات وكفاية قصوى للعالم وكملاً يلذ به ضد الفناء ويحيل العالم إلى معبد والتفكير إلى قداسة فينشأ عالم فكري طاهر. (حسن حنفي، ١٩٧٨، ص ٣٢٠ - ٢٣٥)

٢/٥ الدين اليهودي

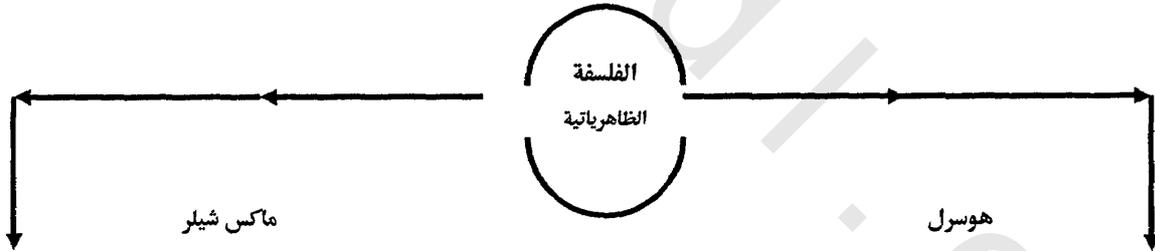
يرى المؤرخ أن التوراة وهي الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم وهي: التكوين - الخروج - اللاويين (الأخبار) - العدد - النشبة، كتبت في أزمنة متفاوتة لذا يجب أن تتوخى التزام الحيطة العلمية في الاستدلال على الأحداث التاريخية المدونة فيها. (رشيد الناضوري، ١٩٦٩، ص ١٦٩) ومحتوى التوراة ليس فقط دينياً أو عقيدة أو أخلاقاً أو تشريعاً أو علماً بل ليست كل هذه مجتمعة، إنها شيء أكبر جداً من هذا عند بني إسرائيل إنها حياتهم وديانهم في الماضي والحاضر والمستقبل والتوراة في الفكر الإسرائيلي، وهي أسمى فكرة وأهم الروح الحية للعالم، ودراسة التوراة أهم عند بني إسرائيل من بناء معبد والإمام بما يضع صاحبه في مكانة أسمى من الكهنة ومن الملوك ودراستها تضمن لنفسه النجاح. (احمد شلبي، ١٩٦٦، ص ٢٤٢) وكانت اليهودية عند موسى شريعة أكثر منه عقيدة، والشريعة هي القانون الإلهي الذي تمت صياغته في قانون إنساني. ويرى سبينوزا أن كل ما يصبو إليه الإنسان لا يتعدى ثلاثة أشياء: معرفة الأشياء بعقلها الأولى، السيطرة على انفعالات النفس للتحقق بالفضيلة، ثم العيش في سلام مع جسم سليم. والوسائل للحصول على الغايتين الأولى والثانية موجودة في الطبيعة الإنسانية، ومن ثم فهي لا تقتصر على أمة دون غيرها أما الغاية الثالثة فهي تعتمد على الأشياء الخارجية كما تعتمد على الرزق والحظ الذي يجهله الجميع لذلك اعتمد الناس على تنظيم حياتهم وتعودوا على اليقظة. (سبينوزا، بدون، ص ٥٤ - ٥٧) والإنسان كما يراه سبينوزا يتكون من جوهرين يمثلان شيئاً واحداً فالجسم والنفس يمثلان عنده شيئاً واحداً وعملية واحدة نراها من الداخل فكراً ومن الخارج حركة فالأمر إذن يدور حول وجود واحد نراه من الداخل عقلاً ومن الخارج مادة، وكل كائن يسعى لتأكيد وجوده وهذا أمر يتلاءم مع طبيعة الإنسان مثل أي كائن يصطدم بالضرورة أثناء سعيه بغيره من الكائنات الأخرى يؤثر فيهم وتؤثر فيه (محمود زقزوق، ١٩٩٣، ص ١١٧).

وتلخص لنا الأشكال التوضيحية أرقام ١/٢، ٢/٢، ٣/٢، ٤/٢، ٥/٢ مدى استفادة علم النفس من فلسفات: الوجودية، الظاهرية، وفلسفة الحياة ومن الفكر الفلسفي للأديان



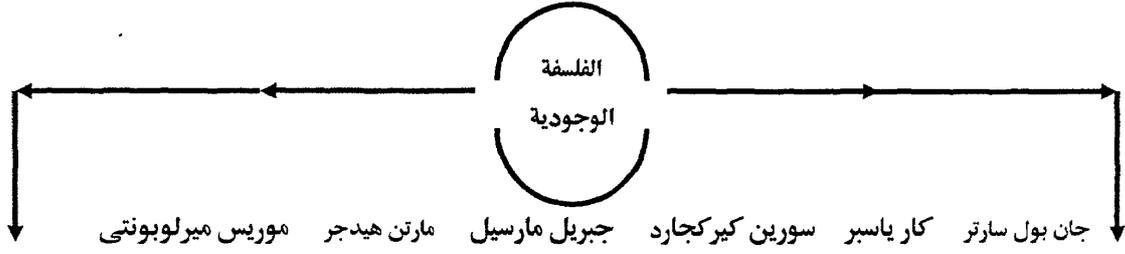
المعاني التي يكونها الإنسان لا بد وأن يكون لها جهاز داخلي أيضاً لتكوين وإدراك المعاني للأفراد - عند دراسة الإنسان والمعاني التي يتبناها، لا بد من دراسة تاريخه الشخصي لأنه يؤثر فيه - معنى الحياة وقيمتها نابع من عقل الإنسان وإرادته وقدراته - لا بد من الاهتمام بالكيف إضافة إلى الاهتمام بالكم عند دراسة معنى الحياة - معاني الحياة جزء لا يتجزأ من عالم البشر - الخبرة مهمة جداً في تكوين المعاني - لكي يحقق الإنسان أهدافه لا بد وأن يهتم بالماضي والحاضر إلى جانب رغبته وإرادته فتحقيق الأهداف يلزم لها أيضاً إرادة ورغبة الإنسان - المخاطرة تكسب للحياة معنى - معاني الحياة قابله للتغير. الآخر مهم جداً في حياة الإنسان فالإنسان يفكر وينمو بشكل فردي وجماعي.

شكل رقم (١/٢) معنى الحياة عند فلاسفة الحياة



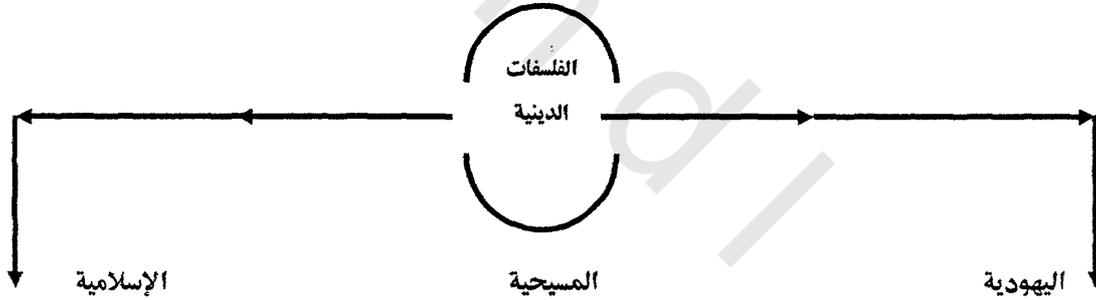
- يدرك العالم باعتباره عالماً إنسانياً وذا معنى يتم فهمه على أنه مكون من الوعي - الوعي طابع قصدي والمهم هو الكشف عن الطريقة التي يصطفها الذهن في تركيبه للمعاني أو الدلالات - شكل العلاقة بين العالم والتغير والذات من أساس فهم الدلالات والمعاني . من المهم دراسة الظواهر كما تبدى ثم ردها إلى الوجود عن طريق فكرة القصدية . عند دراسة معنى الحياة ، لا بد وأن نعطي أهمية للخبرة التي يعيشها ويكونها الأفراد لأن لها دوراً مهماً في تكوين المعنى والإرادة .

شكل رقم (٢/٢) معنى الحياة في الفلسفة الظاهرية



يدرس الإنسان ككل متكامل له حاضر وماضي ومستقبل يتأثر به ويؤثر فيه - وحيث هو موجود في العالم وموجود مع آخرين يتأثر ويؤثر فيهم - الإنسان هو الذي يضيء على حياته معناها ومستقبلها - الإنسان كيان له قيمة كائن عاقل متمتع بإرادة حرة، يبحث عن معنى كماله، وهو مسئول عنه وعن اختياره الذي يرجع إلى معان إنسانية مشتركة بين البشر - هناك معان كثيرة لدى الإنسان منها: الحرية - المسؤولية - الاختيار - الإرادة - العلو - التكامل - الآخر - العالم - تحقيق الإمكانيات - والحقيقة أن يجد الإنسان الفكرة التي يحيا من أجلها. وأن القلق يُظهر الإمكانيات - تأكيد أن الخبرة المعاشة والخبرة التي يعيشها الإنسان يدرك معظم أفعاله ويحاول إيجاد دلالات لها - يمكن فهم الإنسان من خلال وجوده في العالم الذي يضيء على حياته معنى وأن لكل شيء معنى وأن لدى الإنسان معارف لا شعورية، ولكي يكتشف العالم لا يد أن نكتشف هذه المعاني - الإنسان نتاج الطبيعة والتاريخ والذي يدرس فهم المعنى الذي جعله الناس لأفعالهم - الإنسان ذات وبدن وله قابليته للتأثير والتأثر بالعالم الخارجي، فهو يحاول أن يفهم المعنى الذي يكمن من وراء الواقعة ويبحث عن القيم. فالتكامل هو الذي يجعل الإنسان مالك نفسه وغير فاقد لذاته، ولو فقد ذاته فهو يتجه نحو المخدرات والمسكرات.

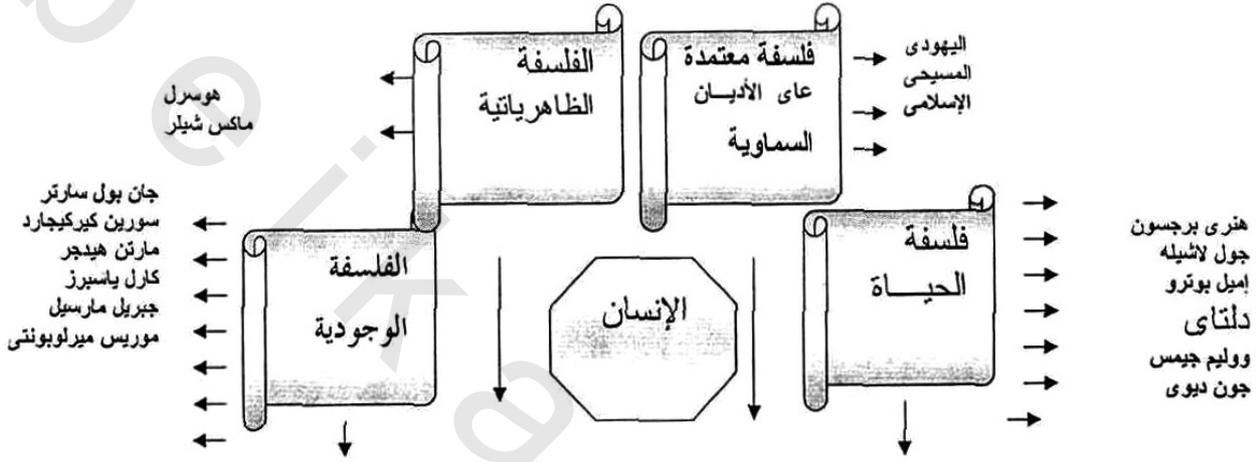
شكل رقم (٣/٢) معنى الحياة عند فلاسفة الوجودية



معاني الحياة ترتبط بفهم الإنسان لنفسه - يفهم الإنسان نفسه من خلال مجموعة العلاقات وهي جزء لا يتجزأ منه: فالنفس الإنسانية مجموعة من العلاقات مع النفس ومع الله، ومع الآخر، ومع التاريخ، ومع الرئيس والمرؤوس... الخ - بالإرادة وبالإدراك يصل الفرد لمعنى وجوده والإدراك نوعان: شخصي وكني والإدراك الكلي هو إدراك المعاني من أجل وجود أفضل للإنسان - العمليات العقلية المعرفية مهمة في توليد الأفكار والحرية - الإنسان يسعى لتحقيق أهداف يصطنعها لنفسه، ويضع الوسائل المناسبة له لتحقيقها منها ما هو موجود في الطبيعة الإنسانية.

شكل رقم (٤/٢) معنى الحياة في الفكر الفلسفي الديني

مدى استفادة علم النفس من إسهامات الفلسفات :
الوجودية - الظاهرية - الحياة - الأديان في موضوع معنى الحياة



- لمعرفة معنى الحياة لدى الإنسان يجب أن ندرس حاضرة وماضية ومستقبله.
- الوعي له دور هام في تكوين المعاني.
- المعاني تصبح جزء لا يتجزأ من أهداف الإنسان.
- وتتوقف أهداف الإنسان على أفكاره وترجمته أفعاله.
- مهم جداً فهم الإنسان لذاته لتكوين المعاني.
- الآخر مهم جداً في حياة الإنسان ومعاني حياته.

شكل رقم (٥/٢) معنى الحياة في الفلسفات

ثانياً :اسهامات علم الاجتماع فى موضوع معنى الحياة

لا يعيش الإنسان بمفرده ولا بمعزل عن المجتمع، لذلك فلا بد أن يكون هناك علاقة بين تبنى الإنسان لمعانٍ فى حياته وبين مجتمعه وثقافته. لذلك لا بد من الاستفادة من علم الاجتماع كأحد فروع العلوم الاجتماعية فى هذا الموضوع ويتناول من عدة زوايا: العلاقة بين الفرد و المجتمع، المعايير وتأثيرها وفقدانها والشعور بالاغتراب، وتماسك الجماعة الداخلى والخارجى، والتكامل والتضامن والتماسك وعلاقته بالإنتحار، وتكوين الخبرات وتنظيم الخبرة الإنسانية، تكوين الخبرات وعلاقتها بشخصية الفرد، المعتقدات والثقافة، المعنى والمجتمع.

(أ) الفرد والمجتمع :

علاقة الفرد بالمجتمع علاقة تبادلية فالفرد يرتبط بالمجتمع ويتعلم فى خضمه القيم والمثل والمعاني، فى حين أن المجتمع لا يمكن أن يكون مجتمعاً إلا بأفراده. فيمثل المجتمع بالنسبة للفرد غاية سامية بالنسبة للمشاعر الفردية وهو أيضاً قوة معنوية، وصانع وناقل للحضارة للأفراد. ويرى دور كايم^(٢) أن المجتمع مجموعة من الأفكار والمعتقدات والمشاعر المتنوعة مما ينجم فعلاً عن الأفراد. (إميل دور كايم، ١٩٦٦، ٩٤-١٠١) وأن المجتمع يقوم على الخلق والقيم والمثل العليا حيث أن تلك القيم والمثل هى الأسس الوجودية التى يستند إليها المجتمع لتحقيق وجوده فيبلغ بفضلها أوج تطوره وتقدمه. هذا وقد ألقى دور كايم الضوء على مسألة الواجب والإرادة والقيم تلك التى يدرسها علم الاجتماع على أنها ظواهر اجتماعية. (قبارى محمد إسماعيل، ١٩٧٦، ٢٩٧-٢٩٨)

(ب) المعايير وفقدان المعايير:

المعايير فى جملتها تمثل جزءاً أساسياً من ثقافة المجتمع وتحدد أهدافه وتعبّر عما يرجو الناس تحقيقه وتوجه سلوك الأفراد إذ يكتسبونها من الحياة الاجتماعية عن طريق التربية المقصودة أو غير المقصودة. وليس من الضرورى أن ينجح جميع الأفراد فى تحقيق المعايير الاجتماعية بدرجة كاملة، ومع ذلك تظل المعايير هدفاً لكل فرد يتجه إليها بقدر ما يحمله من فهم لهذه المعايير وتقدير لها فى ضوء ما اكتسب من ثقافة. لذلك كان الترابط الاجتماعى عاملاً من عوامل الوحدة فى المجتمع، ويتحدد الوضع الاجتماعى للأفراد على أساس المعايير الاجتماعية التى تكونت نتيجة لظروف المجتمع وثقافته وأهدافه وهى نوعان: نوع يعم المجتمع كله ونوع يختص به كل طائفة أو جماعة داخل المجتمع نفسه. (عبد المجيد عبد الرحيم، ١٩٦٨، ١٧٤) وفقدان المعايير حالة مرضية يصاب بها المجتمع نتيجة لفقدان تأثير نظامه الثقافى على تفاعل الأعضاء وسلوكهم وتوقعاتهم نحو بعضهم البعض. ويفسر

^(٢) إميل دور كايم Emile dur Kheim رعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ومشئى علم الاجتماع الحديث وأحد دعائم الحركة العلمية بصمة عامة و

الصف الثامن من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وولد فى أسرة يهودية فى فرنسا سنة ١٨٥٨ وتوفى سنة ١٩١٧ (رييدان عبد الناقى، ١٩٧٦)

بارسونز^(١) من خلال منظوره الوظيفي عن العقل الاجتماعي متعلق بالحالة الحاضرة أو الراهنة للفعل الإنساني الفردي ومكوناته الأساسية (الفرد/الموقف/التوجيه للموقف). وفي حالة عدم وجود ضبط معرفي كاف من النظام الثقافي للنظام الاجتماعي، فيصبح في حالة انعدام القيمة والتأثير كنظام اجتماعي على أعضائه وهذه الحالة الناتجة عن نقص الضبط المعرفي للنظام الثقافي واختفاء تأثيرها على النظام الاجتماعي أطلق عليها دور كايم فقدان المعايير Anomie، والذي ينتج عنها الانحراف لغياب الضبط الاجتماعي الذي يحدد معايير السلوك المتفق عليها ونفترض هذه النظرية أيضاً أن المنحرفين يكونوا منعزلين وغير منتمين في معظم الأحوال. ويشعر الفرد بالإغتراب الذي يشعر فيه الفرد بأنه غريب عن نفسه وعن الآخرين وعن بيئته التي يعمل فيها فالإغتراب عبارة عن إحساس الفرد أو شعوره بأنه غريب عن نفسه وعن الآخرين وعن بيئته التي يعمل فيها (محمد عوض عبد السلام، ١٩٨٦، ٨٦-١١٧) ويصف بارسونز أن هذا التوجيه المعياري الجوهرى لرد الفعل يوجه الانتباه إلى الدور المتعارض "للنماذج" التي تحدد الاتجاه المرغوب في شكل الأهداف والمستويات للسلوك. (عبد المجيد عبد الرحيم، ١٩٦٨، ص٤٢)

ج) تماسك الجماعة الداخلى:

يتناول الفارابي مفهوم تماسك الجماعة ويعرض للأسس النفسية الاجتماعية التي يستند إليها هذا التماسك في أن: الارتباط يتشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشترك في اللغة واللسان، والارتباط هو الاشتراك في المنزل ومن أسس التماسك بين أعضائها: طول التلاقي - الاشتراك في طعام - الاشتراك في لذة ما - الاشتراك في السفر. (مصطفى سويف، بدون، ص١٣٥) تنقسم الجماعات بالنسبة لتماسكها الداخلى *internal cohesion* إلى نوعين: جماعة داخلية وجماعة خارجية فكلما ازدادت العلاقات الموجهة تدور في المحيط الداخلى للجماعة ازداد التماسك الداخلى، للجماعة، وكلما تشتتت هذه العلاقات واتجهت نحو الجماعة الخارجية ضعف التماسك الداخلى. وكلما كثرت العلاقات الموجهة التي تصدر من أفراد الجماعة الخارجية وتتجه صوب أفراد الجماعة الداخلية إزدادت سعة هذا التماسك.

وهناك ثلاث من العلاقات الموجهة التي تؤثر تأثيراً مباشراً في تماسك الجماعة داخلية-داخلية، داخلية خارجية، خارجية داخلية (فؤاد البهي السيد، ١٩٨١، ٢٨٩) ويرى أنه كلما زادت درجة التضامن والتماسك في المجتمع قلت حدة الانتحار، وكلما ازدادت حدة الترععات الفردية في المجتمع إزداد الميل الانتحاري. حيث لا تستطيع شخصية الإنسان الفرد أن تنسجم مع مواقف وظروف البناء الاجتماعي كما لا تتمكن في نفس الوقت من التكيف مع مقتضيات البناء أو أن ترتقى إلى فهم الشخصية الجمعية. (قبارى محمد إسماعيل،

^(١) تالكسون بارسونر Talcott Parsons أحد رواد علماء الاجتماع الأمريكي المعاصرين له دور فعال في إتمام وتطوير المدرسة السائبة الوظيفية حيث أحدثت مكانها الطبيعي والشعري بين مدارس التفكير الأخرى في ميدان علم الاجتماع الحديث وقد احتلقت وجهات النظر حوله فبرى عدد من علماء عدد من علماء الاجتماع أنه يعتبر المؤسس لهذه الوظيفية التقليدية للتفكير بصورتها الرسمية في مجال علم الاجتماع بينما يرى عدد آخر أن روبرت ميرتون Robertn Merton وهو المؤسس لهذا المذهب السائى الوظيفي. ولد عام ١٩٠٢ ومن أهم بقاء العقل ١٩٥١، نحو نظرية عامة في الفعل مع إدوارد ييلز سنة ١٩٥١، مقالات في النظرية السيولولوجية سنة ١٩٥٤، النظرية والمجتمع الحديث سنة ١٩٦٧، الأنظمة الاجتماعية وتطور نظرية سنة ١٩٧٧ (محمد عوض عبد السلام، ١٩٨٦، ص١٠١).

١١١، ١٩٧٦). وقد درس دور كاييم الانتحار وعكست أهمية دراسة التفكك الاجتماعي وتناقض عمليات التضامن أو التكامل الاجتماعي والخلل بالقواعد المعيارية أو العلاقات التي تربط الفرد بالجماعة (عبد الله عبد الرحمن، ١٩٨٨، ٩٩-١١١).

د) التعاون والصراع :

التعاون يكاد يكون سمة الحياة المجتمعية اليومية فهو السمة الغالبة على عمليات التفاعل الاجتماعي ولا يستثنى منه سوى الصراع عندما يأخذ شكلاً جماعياً تدميراً ودموياً لأنه حتى الصراع في معظم أشكاله وصوره المؤثرة لا يكاد يكون فردياً لأن المجتمع قادر على احتوائه قبل أن يهدد وجود الجماعة وكيانها والصراع عندما يأخذ شكلاً جماعياً يكون صراعاً مرغوباً فيه، لتحقيق أهداف متفق عليها كالصراع ضد الاستعمار وضد الاستغلال لتحقيق أهداف مشروعة. فالصراع ليس شراً على طول الخط، فمن الصراع ما هو ضروري لاستمرار الحياة ومنه ما هو ضروري لتعديل مسارها، ومنه كذلك ما هو ضروري للحياة نفسها (صلاح مصطفى الفوال، ١٩٨٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢).

هـ) تنظيم الخبرة الإنسانية :

من متطلبات دراسة المستقبل استيعاب الماضي استيعاباً يقوم على نظرة متعمقة للمعتقدات والممارسات السلوكية التي حدثت في الماضي هذا فضلاً عن الفهم الدقيق المتكامل لكل أبعاد الحاضر ولقد برزت العديد من الأدوات التصويرية المعاصرة في إطار علم الاجتماع ومفاهيمه لتحقيق هذين الهدفين ومن هذه الأدوات الرؤية التاريخية والآخر في التعاون الداخلي بين العلوم. ويفيد المفهوم الأول إفادة محققة من فكرة الخيال السوسولوجي، sociological imaginior التي طورها رايت ميلز Wrigt Mills وهذه الأداة تستلهم أحداث الماضي في فهم الحاضر والتنبؤ باحتمالات المستقبل ومن ثم فهي رؤية دينامية وليست جامدة محكومة فقط بتفاصيل الأحداث الفريدة التي مضت وانقضت (محمد علي محمد، وآخرون، ١٨٥، ١٦٥).

و) تكوين الخبرات وشخصية الفرد :

ويتأثر الفرد في تكوين قيمه الشخصية الأساسية بنوعين من الخبرات فيقول في هذا الصدد إمورى بوجارديز Bogardus إن الاتجاهات النفسية والقيم الاجتماعية تتكون نتيجة للخبرات الشخصية: والخبرة الشخصية هي ما يحدث لإنسان في موقف مضافاً إلى ذلك ما يستثيره الحادث في نفسه من استجابات ومن ردود أفعال والشىء المهم في التجربة الشخصية هو المعنى الذى يصبغه الإنسان عليها ونوع رد الفعل وما هي التطورات التي حدثت في نفس الشخص وفكره وسلوكه نتيجة لرد الفعل الناتج عن الخبرة الشخصية. وهناك نوعان من الخبرة التي تؤثر في القيم والتي يتعلمها أو يمتصها الإنسان وهي الخبرة المباشرة والخبرة المشبعة. ويجب

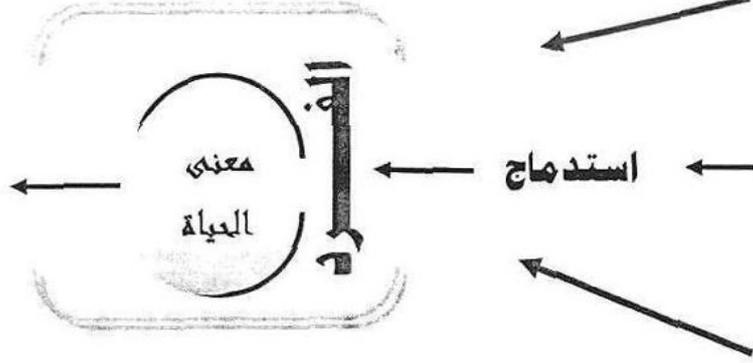
أن يمتص الإنسان معايير ثقافته ويتصرف من خلاله بينما يظن أن سلوكه يكون إرضاء لضميره وخضوعاً لإرادته الذاتية. (محمد محمد الزلباني، ١٩٧٣، ٦٩، ٦٨).

وشخصية الفرد تنمو وتشكل من خلال الخبرات التي يستقبلها من اتصاله بالأنماط الثقافية المختلفة سواء عن طريق التربية الرسمية وغير الرسمية وعن طريق الوسائط التربوية مثل الإذاعة والتلفزيون والمجلات والجرائد وجماعة الأصدقاء والثقافة العملية... الخ. وللتربية في أي مجتمع إنساني وظائف متعددة منها مساعدة الفرد في مراحل عمره المختلفة على اكتساب الخبرات الاجتماعية المتفاوتة حسب المرحلة العمرية للفرد نفسه حيث أن الفرد منذ الطفولة وهو محتاج للتعامل مع أفراد المجتمع ومحتاج للتعامل والتفاعل مع مختلف جماعات المجتمع بما يحقق له النفع والانتماء إلى أي جماعة. وأنواع المهارات والمعارف والخبرات المختلفة التي تعد محصلة التفاعل الاجتماعي إنما يكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية والثقافية معاً أي عن طريق عملية نقل الأفراد للثقافة بمظهرها المادي واللامادي وتقبلهم وتمثلهم بالتالي لتلك الثقافة. وتوفر للأفراد المعاني والمعايير التي يميزون في ضوئها بين الأشياء والأحداث فما يعتبره الفرد طبيعي أو غير طبيعي من الناحية المنطقية يشق من معاني الثقافة وأسس التمييز فيها. (يسرى دعبس ١٩٧٧، ١٣٦، ١٤١)

(ز) المعنى والمجتمع :

فالفرد لا ينتمي لذاته بقدر ما ينتمي إلى المجتمع فشخصيته مقيدة ومحكومة بالمجتمع وتنظيمه وثقافته إلى حد كبير. ويرى دور كايم أن هذا القيد ليس الذي نعرفه اليوم فإن شخصية الفرد لم تكن وجدت بعد. ويعطى دور كايم مثلاً لذلك بقوله إنه في بعض المجتمعات البدائية قد ينتحر الرجل المسن لأنه أصبح عبئاً على رفاقه في المجتمع أو حينما ترفض أرملة الهندي الحياة بعد موته وحينما ينهي البوزي حياته وهو يحمل معبودته مثلما تطلب منه الطقوسات الدينية ذلك في كل هذه الحالات يقبل الفرد نفسه ليس لأن الحياة سيئة ولكن لأن الذي ارتبط به يتطلب هذه التضحية وبذلك يصبح هذا الموت ليس انتحاراً بالمعنى الشائع للكلمة وإنما هو تضحية بالنفس حينما يوجب المجتمع ذلك. إذن فالكل الاجتماعي له مثله ومعتقداته التي ينبغي لاجزائه الواقعية أن ترى الواقع من خلالها. لم يهتم فيبير بالمعنى الذاتي للإنسان فيما يتعلق بالموقف ولكن إهتم بمعنى الموقف بالنسبة له، كما اهتم فيبير بتأثير المعنى وحده على السلوك الإنساني وتأثير العلاقات الاجتماعية ذات المعنى على هذا السلوك أيضاً. (على ليلة، ١٩٨٣، ١٠٥ - ٥٥٥). وقد تبني كثير من علماء الاجتماع الدعوة إلى تحسين التقارب بين الفرد والمجتمع. أي تحقيق التفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعي (محمد سعيد فرج وآخرون، ١٩٧٥، ٨٧، ٨٦، ١٧٥). ويوضح الشكل رقم (٦/٢) استفادة علم النفس من علم الاجتماع في معنى الحياة

سلوكيات تتأثر إلى
حد كبير بفهم الفرد
لمعنى حياته



- ثقافة - معتقدات -
- عادات وتقاليد -
- معايير - علاقات -
- خبرات وتنظيمها -
- ضمير فردي
- و جمعي - ارتباط
- المعنى بالمجتمع

شكل رقم (٦/٢) استفاده علم النفس من علم الاجتماع في معنى الحياة

القسم الثانى : معنى الحياة فى علم النفس

- أ) بزوغ المفهوم فى علم النفس.
ب) مفهوم معنى الحياة تمايز المفهوم.
ج) السياقات الخاصة بتكوين المعنى.
د) كيفية تكوين المعنى.
هـ) إرتباطات المعانى.
و) توجيه المعنى.
ز) فقد معنى الحياة لدى الفرد وأسبابه .
ح) تأثير فقد المعنى على سلوك الفرد .
ط) الخبرات والمعانى.
ى) الجوانب الوجدانية فى تكوين المعانى.
ك) الجوانب العقلية المعرفية وتكوين.
ل) معنى الحياة وبعض العوامل الديمجرافية.

ل/ ١ النوع

ل/ ٢ العمر

ل/ ٣ نوعية الحياة

ل/ ٤ أسلوب الحياة.

القسم الثاني : معنى الحياة فى علم النفس

(أ) بزوغ المفهوم فى علم النفس :

ظهر مصطلح معنى الحياة فى علم النفس من خلال إسهامات "فيكتور فرانكل" Viktor Frankle فى مجال العلاج بالمعنى Logotherapy والذى تتلخص أهدافه فى مساعدة الفرد على إيجاد معنى له فى الحياة ليستطيع أن يعيش وينجز ويحقق أهدافه المستقبلية، وقد قامت مدرسة "فرانكل" على أساس من انتقاداته التى وجهها لكل من التحليل النفسى الفرويدى وعلم النفس الأدرلى وخاصة تلك الانتقادات الموجهة إلى نظريتي الدافعية لدى كل منهما، حيث يرى فرانكل أن مبدأ اللذة الفرويدى ودافع المكانة الأدرلى غير كافيين لتفسير سلوك الإنسان وهو فى هذا الصدد يقرر أنه وضع ما أسماه مبدأ "إرادة القوة The Will to Power" ليعارض به مبدأ اللذة الذى يحكم نظرية الدافعية فى التحليل النفسى (عبد الرحمن سيد ، إيمان فوزى، ١٩٩٩) وتأتى نظرة "فرانكل" لمعنى الحياة غير منفصلة عن نظريته للإنسان فالمعنى يرتبط بفرد بعينه كما يتحدد بمحددات موضوعية وبيئية وثقافية اجتماعية . (محمد عبد الظاهر الطيب، ١٩٨١، ص٣٢٨)

ويؤكد فرانكل أن جوهر الدافعية الإنسانية يكمن فى "إرادة المعنى" Will to meaning ويعد هذا المعنى فريداً بالنسبة لكل شخص فهو يخصه وحده ولا يتحقق إلا من خلاله هو فقط، كما يمكنه أن يشبع إرادة المعنى لديه عن طريق إنجازاته الشخصية وحدها. ويضيف "فرانكل" أنه لكى يحصل الإنسان على هدف حقيقى ومعنى صادق للحياة فإنه يجب أن يتقبل معنى لمعاناته، وفى النهاية لموته ومن هنا يصبح الموت فى الحقيقة عاملاً ذا أثر هام فى إعطاء الحياة معناها ومغزاها (صفاء اسماعيل، ١٩٩٨)

ومعنى الحياة من الموضوعات الهامة التى تشغل تفكير الفرد والعالم كما يظهر لنا من الإحصائيات والمؤتمرات حيث تشير الإحصائيات إلى أن نسبة (٤٦%) من الأفراد يفكرون أغلب الأحيان فى المعنى والغرض من الحياة (Medical Society News Leter, 2000). كما اهتم علم النفس الإيجابى Positive Psychology فى نهاية القرن الماضى وفى بداية القرن الحالى، بالمعنى وكيفية البحث عنه. ففى المؤتمر الدولى الأول المنعقد فى فرانكفورت بألمانيا، كان موضوعه الأساسى عن المعنى فى الحياة. وأوضح المؤتمر أن معنى الحياة هو إحساس الفرد بالتماسك وطلب سبب للوجود والإحساس بالغرض والاتجاه نحو الحياة، وأن موضوع دراسة المعنى قد أغفلت دراسته لإرتباطه بالأسباب الغيبية أو الدينية ودارت توصيات المؤتمر حول التأكيد على دراسة الاتجاه الإيجابى فى علم النفس. (William, 2001). فالذى يدفع الإنسان فى الحياة فى نظر علماء النفس ذو التوجه الإنسانى وأصحاب التوجه الوجودى هو المعنى، فالإنسان دائم السعى لمعرفة معنى هذه الحياة بالنسبة له، واستكشاف الإنسان لمعنى حياته فى رأيه هو رسالة يعمل الإنسان لها ويدافع عنها، وهو يدرك هذا الهدف ويعى الرسالة بل ويدرك إرادة تحقيقها لذا فإن الرسالة ليست مرتبطة بحاجة تشبع فتكف عن الدفع وإنما هى إرادة دائمة طالما يوجد الإنسان وهى إرادة الوجود. وإرادة الوجود تحركه نحو الارتباط بما يعطيه معنى لوجوده وتوجه السلوك

على النحو المشيع لهذه الإرادة وهي ميكانيزم دفين في شخصية الإنسان وليس غامضاً بل يمكن أن يتبصره بنفسه ويتلمس السلوك المترتب عليه (حمدي الفرماوي، ٢٠٠٢، ٤٨)

وينظر عبد السلام عبد الغفار للإنسان فيقول "إن من خصائص الإنسان الهامة أنه يختار وهو حر في اختياره، إن له إرادة وهي قوة منظمة ودائمة الدفع لسلوكه أيضاً وللإنسان قدرة على السمو والالتزام بقيم ومثل والتفاني فيما يلتزم به"، وهناك فرق بين "إرادة الوجود" و"تحقيق الذات" Self actualization عند ماسلو فإن إرادة الوجود كحاجة إنسانية تتصف باستمرارية الدفع وليست صعبة المنال بل يعيشها الإنسان وقد يختلف الأفراد فيما بينهم في المعنى الذي يصل إليه كل منهم لحياته، ولهذا فهم يختلفون في أهدافهم، ولكل واحد الحرية في الوصول إلى المعنى الذي يعيش من أجله وذلك على خلاف المعنى الذي يسوقه ماسلو متمثلاً في تحقيق الذات تلك التي تحمل أسباب الكف عند حد معين وهي صعبة المنال فلا يصل إليها إلا القليل وترتبط إرادة الوجود بإرادة أخرى وهي إرادة العطاء وهي قوة دافعة أخرى تكتمل بها إرادة الوجود وتعطيها رونقاً وجمالاً وهي تدفع الإنسان إلى العطاء رغبة في العطاء نفسه حيث العطاء الذي لا يخفى مطمئناً أو سيطرة بل إن سلوك العطاء يحمل جائزته هو سلوك واع اختياري (عبد السلام عبد الغفار، ١٩٨١، ٢٠٢-٢١٠). ويؤكد علماء النفس الوجوديين من أن البحث المستمر عن المعنى في الحياة يتضمن عملية إتخاذ قرار وهذا يتطلب من الإنسان شجاعة ليقرر الطريق الذي يختاره. لذلك فالإنسان في بحثه عن معنى حياته قد يمر بخبرات مرهقة من الخوف والفشل ترهقه إلا أنها تحسن من الأداء والصحة (Sal, 2004)

من العرض السابق يقدم علماء النفس إجابات عن بعض التساؤلات الفلسفية حول قيمة الحياة وجدواها وتبقى الاجابات معلقة عن بعض الأسئلة الأخرى المطروحة، وللإجابة عن التساؤلات السابقة تعرض الباحثة بشيء من التفصيل للموضوع.

وهنا يجدر الإشارة إلى أن الباحثة ستتناول معنى الحياة من منظور نمائي يتكون لدى الإنسان بشكل طبيعي على مدار حياته. باعتباره مفهوم ضروري ومهم للإنسان على مدار حياته الطبيعية.

ب) مفهوم معنى الحياة وتمايز المفهوم :

يعد مفهوم معنى الحياة من المفاهيم التي بدأت تستحوذ على اهتمام الباحثين في مجال الصحة النفسية، نظراً لارتباطه بأسلوب الحياة، حيث أصبح من الضروري أن يكون جزءاً من أسلوب الحياة لتجنب الكثير من الضغوطات والأمراض العصرية. فيرتبط معنى الحياة لدى الإنسان بقيمة حياته ورضاه عن ذاته وتقديره للمعنى الذي تنطوي عليه حياته والدور الذي يرى أنه أهل لأدائه في الحياة. وهناك بعض المفاهيم القريبة من مفهوم معنى الحياة ومنها :

يعرف "ريبير Reber" ١٩٨٥ الهوية بأنها مفهوم موضوعي للشخص نفسه كفرد ويستخدم غالباً للتحديد: هوية (الجنس - الدور)، والعرق، أو العنصر، أو هوية المجموعة. وفي دراسة الشخصية يعنى ضرورة لاستمرار الذات. (Reber,1985,341) ويشير كل من جابر عبد الحميد، وعلاء كفاي (١٩٩١) إلى أن الهوية تعنى المشاعر بأننا نفس الأشخاص الذين كنا بالأمس وفي العام الماضى. وهى الإحساس بالاستمرارية المستمد من أحاسيسنا الجسمية، وصورتنا عن إحساسنا، والشعور بأن ذكرياتنا وأهدافنا وقيمنا وخبراتنا تخصنا نحن. وفي علم النفس المعرفى يشير المصطلح إلى الوعى بأن موضوعاً ما يبقى نفس الشيء حتى لو تعرض لكثير من التغيرات والتحويلات (جابر عبد الحميد، علاء كفاي، ١٩٩١، ١٦٥٩)

كما يقصد بها تحديد الفرد لمن هو بحيث تكون توقعاته المستقبلية امتداداً واستمراراً لخبرات الماضى وتكون خبرات الماضى متصلة بما يتوقعه من المستقبل مع الشعور بكونه قادراً على العمل كشخص منفرد دون انغلاق فى العلاقة بالآخر، مع الاضطلاع بدور اجتماعى والتوجه نحو أهداف محددة وإنجازها وفق منظور زمنى محدد وتحقيق علاقة ناضجة مع الجنس الآخر مع تحديد أيديولوجية أو فلسفة أو معنى لحياته. (أبو بكر مرسى، ١٩٩٧).

والهوية هى تقييم معرفى وسلوكى ووجدانى يقيمه الفرد لنفسه ولما حققه فى حياته نتيجة لقدراته ومهاراته. وهذا التقييم قد يكون فى الاتجاه الإيجابى؛ فيرضى الفرد عن نفسه وحياته وقد لا يرضى؛ وبالتالي تشكل أزمة بالنسبة له والتي يسميها العلماء بأزمة الهوية. وأزمة الهوية هى نتاج لفشل الفرد فى تحديد هوية معينه له وتشير إلى عدم القدرة على اختيار المستقبل أو متابعة التعليم كما تنطوى على الشعور بالاغتراب وعدم الجدوى وانعدام الهدف وعدم القدرة على اختيار المستقبل المهني واضطراب الشخصية. وتبدأ أزمة الهوية بالبحث عن مصادر جديدة للمعنى والإنجاز والقيمة. (أبو بكر مرسى، ٢٠٠٢، ٥٧)

ويعتقد فرانكل أن معظم مشكلات الإنسان فى الحياة هى فى الحقيقة مشكلات، معنى لإرادة المعنى هى القوة الدافعة الأولية للإنسان، وأن أساس إرادة المعنى هو الشعور بالمسئولية، فلكل شخص مهمة ورسالة فى الحياة ومن يمتلك سبباً يعيش من أجله فإنه يستطيع غالباً أن يتحمل بأى طريقة وبأى حال. (أبو بكر مرسى، ٢٠٠٢، ٥٩)

ويرى اريكسون أن مفهوم الهوية يتكون فى فترة المراهقة، لأنها فترة تحدث فيها تغيرات كبرى فى الذات حيث يمر المراهق بخبرة الصراع النفسى ممثلة فى تشكيل الهوية مقابل تمعق الدور. ويتضمن البحث عن الهوية فهم المراهق وإجابته لعدد من الأسئلة: ما نوع المستقبل المهني الذى يريده؟ ما القيم التي يتبناها ليسلك على أساسها؟ ما الاتجاهات السياسية والأيدولوجية التي يناصرها؟ من هو؟ وماذا يفعل؟ ما قيمة وجوده؟. . . إلخ وأكمل "جيمس مارشيا" James Marcia نظرية إريكسون وحاول الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بمراحل تكوين الهوية أو احتمالات تحقيقها أو الفشل فيها وصنف حالات الهوية إلى أربع حالات: حالة "الهوية المشتتة أو المتميعه"

Diffused Status، "الهوية المبسترة أو المتعجلة" Forclosure Status، الهوية المؤجلة أو المعلقة Moratorium Status، تحقيق الهوية أو تكوينها Identity Achievement Status. (علاء كفاي، ١٩٩٧، ٥-٤، ٧)

ب/٢ الغرض من الحياة (PIL) Purpose in Life:

يعرف "ريبير Reber" ١٩٨٥ "الغرض" Purpose على أنه: الغرض أو الهدف العقلي المُثَلِّ داخليةً والذي يُوجِّهه ويُوَجِّه له السلوك. وهو مصمم إفتراضي لسلوك الكائن الحي الذي يَكشِفُ مباشرة، إصراراً وتركيزاً التوجيه نحو بعض الأهداف (Reber, 1985,601).

والغرض من الحياة هو مدى إدراك الشخص للهدف والمعنى من الحياة، وذلك وفقاً لمقياس الهدف من الحياة الذي وضعه "كرومباخ وماهوليك" (١٩٦٨). (إبراهيم عيد، ١٩٩٠، ٥٨) ويعتبر هذا المقياس أشهر مقياس لفحص عمق المعنى في الحياة ولكن مثله مثل باقي المقاييس الأخرى تشوبه درجة من المرغوبة الاجتماعية Moholick&,Crumbaugh&Gogi,1989 وقد كشفت نتائج بعض الدراسات عن أن بنود الغرض من الحياة بنود مميزة لوجود الغرض من الحياة بين المجموعات. (Marsh,et. al,2003) والبحث عن المعنى أو الغرض من الحياة يعتبر وظيفة لدى الإنسان فقد اقترح "فرانكل" ثلاث طرق لاكتشاف المعنى وكلها تدور حول العمل والبحث الذاتي المدفوع عن المعنى والإنجاز. وقد قام كرومباخ بحساب صدق الحك لعينات سوية ومرضية، والثبات بالقسمة النصفية لمقياس الغرض من الحياة وكانت معدلات الصدق والثبات مرضية. (Donna,Kay,2000)

ب/٣ التوجه نحو الحياة (LO) Life Orientation:

يعرف "ريبير Reber" ١٩٨٥ "التوجه" على أنه نظرة خاصة "الرؤى العالم" World view منظور عام جداً للحياة: العلمي، الفلسفي. . . إلخ (Reber,1985,5.3). كما يعرفه كلاً من شاير وكارفر Scheier& Carver وفق لمقياسهما: الاستعداد أو الاستهداف للتفاؤل بأنه النظرة الإيجابية، والإقبال على الحياة، والاعتقاد بإمكانية تحقيق الرغبات في المستقبل بالإضافة إلى الاعتقاد باحتمال حدوث الخير أو الجانب الجيد من الأشياء بدلاً من حدوث الشر أو الجانب السيئ. (بدر الأنصاري، ٢٠٠٢). إلا أن دراسة سميث وزملائه أظهرت أن اختبار التوجه نحو الحياة لا يقيس التفاؤل بل يقيس العصائية، وذلك اعتماداً على دراسة علمية لمقياس التوجه نحو الحياة ومقياس التوقع العام للنجاح، ومقياس القلق الصريح، ومقياس سمة القلق، حيث كشف التحليل العاملي عن استخراج عامل واحد أطلق عليه العصائية، وبهذه النتيجة فإنه يجب إعادة النظر في تفسير مقياس التوجه ناحية الحياة بوصفه مقياساً للتفاؤل. (بدر الأنصاري، ١٩٩٨، ٣٧)

ب/٤ أسلوب الحياة : Life style

يشير "ريبير Reber" ١٩٨٥ إلى أن أسلوب الحياة وفقاً لمصطلح "أدلر" هو الأسلوب الواسع الانتشار الفريد للشخص، وافترض أنه متكوّن من مجموع: دوافعه، وسماته، ومصالحه، وقيمه، ويظهر في كُـلِّ سلوك

للشخص (Reber,1985,740). ويرتبط بالأسلوب التي يسير بها الفرد حياته وكيفية تحقيق أهدافه على المستوى الفكري أو السلوكي أو الوجداني. وهذا الجانب مرتبط ببعد من أبعاد المقياس (معنى الحياة) الذي أعدته الباحثة للدراسة، وذلك لمدى أهميته في تكوين المعنى الذي يتبناه الفرد ويضعه موضع التنفيذ، فيضع كل فرد هدفاً مبكراً في حياته، ويكون باقي الأهداف بجانبه ثانوي. وهذا الهدف تبعاً لـ " لأدلر " يشكل أسلوب الحياة الذي يكون سندا للفرد، ضد انعدام الأمن الذي يأتي نتيجة الشعور بالعجز. وأسلوب الحياة هذا يساعد الفرد لكي يتوافق في: المجتمع، وفي المهنة، وفي الحب، وتعتمد الواجهة التي سيتخذها أسلوب الحياة على المؤثرات البيئية المبكرة والنمط الأسري وطبيعة الشعور بالنقص، ومن الممكن أن يؤدي أسلوب الحياة إلى ظهور المواهب، وإلى السلوك الإيجابي المفيد اجتماعياً، ولكنه من الممكن أن يؤدي أيضاً، إلى تعويض زائد مرضي. (والترج . كوفيل ،بدون، ٤٧)

وقد أظهرت نتائج الدراسة الإكلينيكية أن مجموعات المرضى بأمراض القلب التاجية يمكن أن يحفزوا ليقوموا بتغييرات شاملة في أسلوب الحياة خارج المستشفيات، ويساعد أسلوب الحياة الجديد للفرد مع علاجات أمراض القلب التاجية ليكون الفرد آمناً ومتلائماً. فقد أظهر المرض بعد سنة في المجموعات التجريبية تحسناً مما يؤكد أن تغيير أسلوب الحياة هؤلاء المرضى في بعض المجالات مثل: الغذاء، والإقلاع عن التدخين، والتدريب على السيطرة على الضغوط، وممارسة بعض التدريبات الرياضية المتوسطة - يُحدث لهم تحسناً في حالتهم الصحية، وينعكس ذلك على حالتهم النفسية، وشعورهم بالسعادة. (Steptoe,& Wardle, 1994,p 207-519). يتضح مما سبق أن الهوية والغرض من الحياة، والتوجه نحو الحياة مصطلحات مرتبطة جزئياً بمصطلح معنى الحياة الذي يعد أشمل وأعم. فالفرد الذي يعرف معنى حياته يستطيع أن يحدد الغرض منها ويكون له وجهة خاصة به متفائلة أو متشائمة، ومن هنا يكون قد حدد هويته: من هو، وماذا يعمل.

ج) معنى الحياة في البحث الحالي :

سبق عرضه في الفصل الأول ويقصد به:

مجموعة من المفاهيم الإيجابية أو السلبية، يكونها الفرد عبر الحياة عن حياته، من خلال مصادر مختلفة داخل حيز خبراته الشخصية التي يجربها في مواقف تفاعله مع ذاته والآخرين في ظل ثقافة المجتمع ومتغيراتها. وتعكس هذه المفاهيم توجه الفرد نحو الحياة، وأسلوب حياته.

وترى الباحثة أن معنى الحياة يتكون من ثلاثة أبعاد على النحو التالي: الوعي بمعنى الحياة، والتوجه نحو الحياة، وأسلوب الحياة.

وقد حاولت الباحثة الاستفادة من هذا التعريف بما يتضمنه من أبعاده الثلاث في بناء مقياس معنى الحياة- موضع اهتمام البحث- وسوف يتضح ذلك في فصل المنهج والإجراءات (الفصل الرابع).

(د) السياقات الخاصة بتكوين المعنى :

يمكن النظر إلى تكوين معاني الحياة من خلال سياقات عديدة تفسيرية وليست ظاهرية تحيط بالفرد ويتفاعل بها ومعها، والسياق هو الإطار السلوكي والاجتماعي والثقافي الذي يتفاعل فيه الفرد مع نفسه ومع الآخرين، وفيه يتم استخلاص المعنى من الخبرات المختلفة التي تتم بين العناصر المختلفة المتفاعلة فيه وله مستويات مختلفة من التأثير والامتدادات. وتقترح الباحثة السياقات وتفاعلها في الشكل رقم (٧/٢) والذي يتضح منه ما يلي:

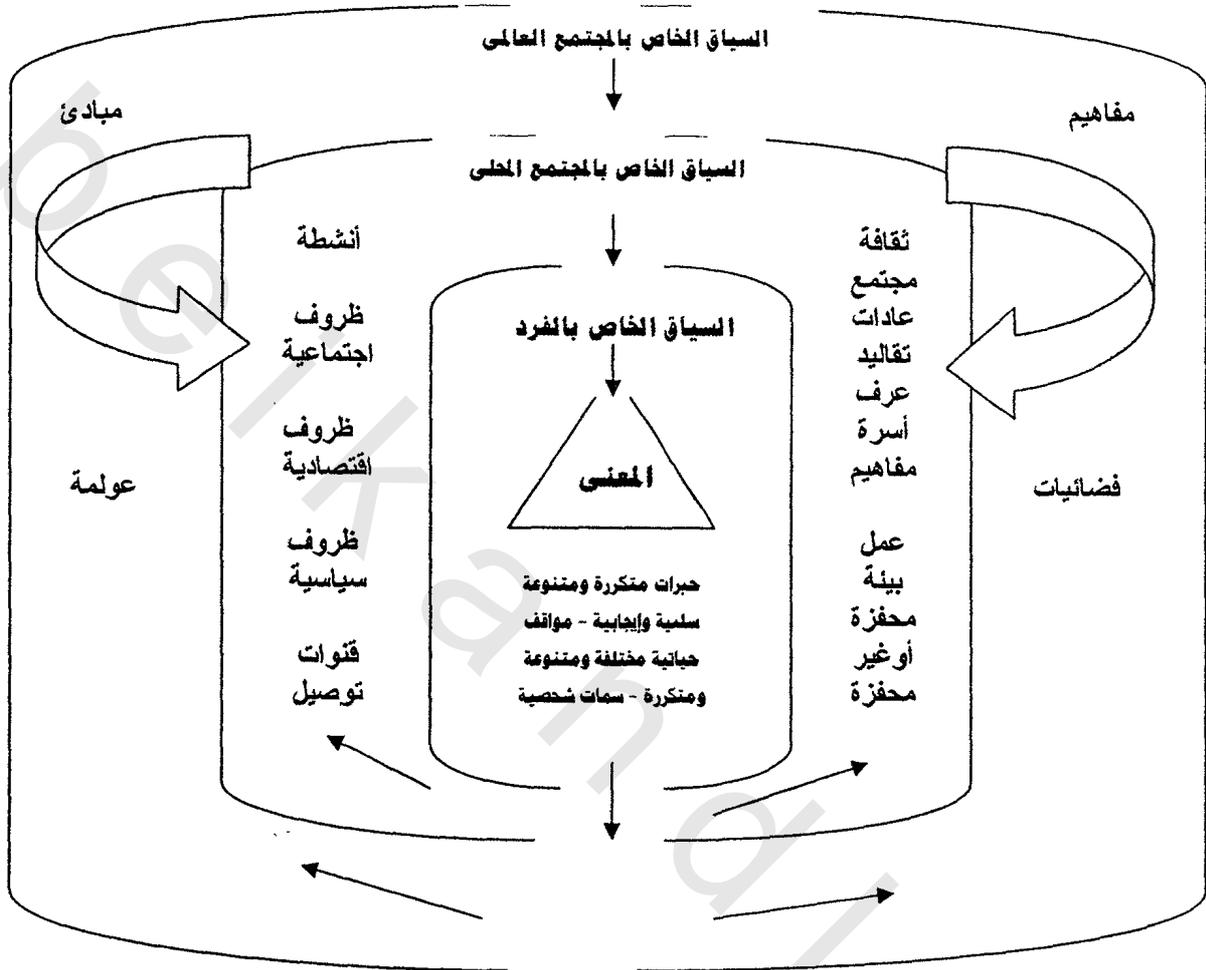
١- السياق الخاص بالفرد وخبراته وسمات شخصيته.

٢- السياق الخاص بالمجتمع المحلي وما يتضمنه من ثقافة سائدة وعادات وتقاليد.

٣- السياق الخاص بالمجتمع العالمي وفكره وثقافته.

وهنا نجد أننا لا يمكن تفسير سلوك الأفراد الظاهر دون أخذ السياقات السابقة في الاعتبار، فالفرد بشكل عام يترجم أحياناً تلقائياً - بوعى وأحياناً أخرى دون وعى - كل ما يعتنقه من أفكار ومبادئ وقيم، بل وما يعبر به من انفعالاته الإيجابية والسلبية. ويعتمد ذلك على رؤيته للعالم المحيط به محلياً كان أو عالمياً ومفهوم رؤى العالم مجموعة من الاعتقادات تتضمن بيانات وفرضيات محددة موجودة وغير موجودة من حيث الواقع أو من حيث المبدأ. وهي طريقة لوصف الكون ومن ضمنها الحياة. ويرى كيلى أن رؤى العالم تحدد الأهداف المرغوبة وتتضمن الفرضيات القابلة وغير القابلة للحل، وتدار هذه الفروض داخل نظام معتقدات الفرد عما سيحدث أو ما يمكن أن يحدث. واختلاف رؤى العالم بين الأفراد يؤدي إلى فهم مختلف للحقيقة وفي رؤيتهم للأحداث. ويتأثر بالعلاقة بين الذات والسلوك والخبرة. (Rivera, 2004) كما أن تقدير الذات مرتبط بالمعتقدات والقيم الحاصل عليها الفرد من رؤيته للعالم المحيط به. (Tompyszczynski, et. al., 2004) وتأثير الثقافة في رؤية الأفراد لأنفسهم، وجميع الأفراد لهم وجهات نظر متعددة في رؤية أنفسهم فقد كشفت دراسة سو ٢٠٠٢ على عينة من أمريكا الشمالية. وإتضح أنهم ينظرون لأنفسهم على نحو أكثر مرونة من خلال المواقف (Suh, 2002). وتعددت الدراسات في هذا الصدد في مجالات مختلفة حيث درس (وينجن) العلاقات بين أزواج من ثقافات مختلفة والتي تعتمد على مفهوم رؤى العالم ومدى قدرة استيعاب أحدهما أو كليهما للفروق الثقافية بينهم والتي تظهر في المعتقدات والقيم وتعكس على السلوك (Frame, 2004). ومعنى الحياة مفهوم يتأثر بكل ما سبق؛ لذلك لا بد من دراسة معاني الحياة في ظل كل هذه المتغيرات.

ويوضح الشكل المقترح رقم (٧/٢) السياقات المختلفة المؤثرة في المعاني.



شكل (٧/٢) السياقات التي تؤثر في تكون المعنى تصور مقترح من الباحثة

وقد اهتم "فرانكل" بالتمييز بين مفهومين للمعنى، مفهوم مطلق عام ومفهوم فردي خاص بالفرد. ويرى أن هذا المعنى الفردي مرتبط بطريقة أو بأخرى بالمعنى المطلق للحياة، فالمعنى الحقيقي للحياة إنما يوجد في العالم الخارجي أكثر مما هو في داخل الإنسان أو في تكوينه النفسي. (فرانكل- ترجمة طلعت منصور، ١٩٨٢، ص ١٤٧)

وهنا نجد أن فرانكل أكد أهمية العالم الخارجي المحيط بالفرد في تكوين المعنى عنده مما يؤيد التصور الخاص بالسياقات المحلية والعالمية المحيطة بالفرد وتؤثر في تكوين المعاني لدى الأفراد.

أما نموذج معنى الحياة الذي تقدمه "فان دورزن- سميث"، فيكشف الوجود الإنساني. حيث يكون على الإنسان أن يكتشف معنى وجوده على أربعة مستويات للخبرة: فالأول يتعلق بالخبرة الحسية في العالم الطبيعي، والثاني يتعلق بالخبرة ذات الطابع الاجتماعي أو ما تسميه العالم العام، والثالث يرتبط بالخبرة الشخصية أو ما تسميه العالم الخاص، أما الرابع فيختص بالمثل أو ما تسميه العالم المثالي.

وتقسم "فان دورزن- سميث" أنواع المعنى في الحياة وفقاً للمستويات الأربع للخبرة إلى أغراض أساسية تتحقق من خلال أهداف وسيطة، ثم تعرض لما تسميه "بالاهتمام النهائي" الذي يشكل تقييداً لتحقيق المعنى على كل مستوى للخبرة. فعلى كل مستوى نجد أن الغرض الأساسي يتناقض مع الإهتمام النهائي، فالأول يمثل القيمة المثالية التي يسعى إليها الإنسان عن وعي أو عن غير وعي، أما الثاني فيحتل الجانب الخفي والمنطقي والذي لا يمكن تفاديه في صورة تهديد لتحقيق الإنسان المثالي بذلك، يصبح تحقيق المعنى هو النجاح في التحدي والتغلب على مهددات المعنى المتمثلة في الإهتمامات النهائية. (عبد الرحمن سليمان، وإيمان فوزي، ١٩٩٩)

والذي يشغل الناس ليس هو معنى الحياة بصفة عامة ولكن الذي يهتمهم هو المعنى الخاص للشخص عن الحياة في وقت معين. والمعنى ليس نسبياً، ولكنه متفرد Unique على حد تعبير فرانكل- بحيث تكون لكل إنسان فرصة فريدة لاكتشاف معنى شديد الخصوصية لحياته. (فرانكل- ترجمة إيمان فوزي، ٢٠٠٤، ٨٨). وقد كشف "ريتشر" ٢٠٠٣ في دراسته لبعض معتقدات الساميين حول معنى الحياة، أنها تدور حول معان شخصية خاصة بهم منها: حب الحياة والاستمتاع بها، وحب الآخرين ومساعدتهم، وعبادة الله، والكفاح وتحقيق الذات، وخلق المعنى (Richard, et al., 2003)

هذا المعنى يستطيع الإنسان أن يكتشفه في سياق إنجاز شخصي ابتكاري، أو خبرة يندمج فيها الإنسان مع قيم الحق والخير والجمال، أو حتى مع مكابدة الألم والمعاناة التي لا يمكن تفاديهها. فقد يكون الإنسان صاحب إبداع فني - مثلاً- بحيث تصبح إبداعاته هي محور المعنى في حياته، وقد يعيش محباً للفن متذوقاً له أو محباً للعلم ينهل من بحوره أو حتى محباً للآخر- شخص أو أشخاص- فيرتبط معنى الحياة لديه بخبرة الحب أو الشوق

للمعرفة. وحتى في المواقف التي يحرم فيها الإنسان من قدراته الابتكارية أو من حاسته الإدراكية وقدرته على التواصل مع الآخر، فإنه يحتفظ بالقدرة على تحقيق المعنى في حياته، ففي مثل تلك اللحظات التي يواجه فيها الإنسان قدره الذي لا يملك له درءاً يجد الإنسان فرصة أخيرة لتحقيق المعنى - بل لتحقيق أعلى معاني الحياة وأكثرها عمقاً، ألا وهو معنى المعاناة. وهكذا يحدد "فرانكل" ثلاث مجموعات من القيم يرتبط بها معنى الحياة لدى الإنسان: "قيم ابتكارية Creative، وقيم خبرية Experiential، وقيم اتجاهية Attitudinal". وهذا الترتيب يعكس الطرق الثلاث الرئيسية التي يمكن أن يجد بها الإنسان معنى في الحياة. وتعني الأولى ما يعطيه للعالم في صورة ابتكارات، وتعني الثانية ما يأخذه من العالم في صورة اللقاءات وخبرات، أما الثالثة فتعني الموقف الذي يتخذه من محتته في حالة ما إذا كان يجب عليه أن يواجه قدراً لا يمكن تغييره. وهذا هو السبب في أن الحياة لا تتوقف أبداً عن أن يكون لها معنى، لأنه حتى الشخص المحروم من كل من القيمتين الابتكارية والخبرية يظل أمام تحدى المعنى الذي يجب عليه أن يحققه، وهو المعنى المتضمن في الكيفية التي يتحمل بها معاناته وهو شامخ البيان رافع الرأس". (فرانكل - ترجمة إيمان فوزى، ٢٠٠٤)

ويرى "فيركيوس وسوليفان" (١٩٩٧) Ferqus, O,Sullivan أن تكوين المعنى الإيجابي للحياة يتمثل في البعد عن المفاهيم السلبية التي يكونها الأفراد في المجتمع؛ مما يساعد على تحقيق الأهداف في الحياة، وإدراك الفرد لحياته تطراً عليه جوانب التغير نتيجة للبعد عن المفاهيم الجامدة وهذا يعطى الطابع الوجودى ومدى تحققه لدى الأفراد في الحياة. (خيرى حسين، حسن عمر علام، ١٩٨٩). وقد كشف "أوكونور وفرانس" ٢٠٠٢-٢٠٠٣ " عن أن المشاعر السلبية سببها أحداث الحياة السلبية، ووجد دلائل على أن إعادة الهيكلة الإدراكية لنموذج تكوين المعنى وللأحداث، بالإضافة إلى تعديل أحداث الحياة السلبية، يزيد من المشاعر الإيجابية. (O'Connor, Frances, 2002-2003)

هـ) كيفية تكوين المعنى :

إذا نظرنا إلى المعنى وكيف يتكون لدى الفرد فقد نجد أنه لا بد وأن يكون هناك مصادر يستقى منها الفرد ما يتواءم معه من معانٍ ولا يكفى توافر المصادر بل لا بد من توافر مجموعة من الأنشطة التي تُفعل ما استقاه الفرد من المصادر، ولا بد أن تشبع وتحقق هذه الأنشطة حاجات الفرد على كافة المستويات والتي تختلف من فرد إلى آخر، وهذا ما يفسر اختلاف المعاني بين الأفراد.

وتقترح الباحثة تصوراً نظرياً لكيفية بناء معاني الحياة كما يلي:

(أ) كيفية تكوين الفرد لمعاني الحياة.

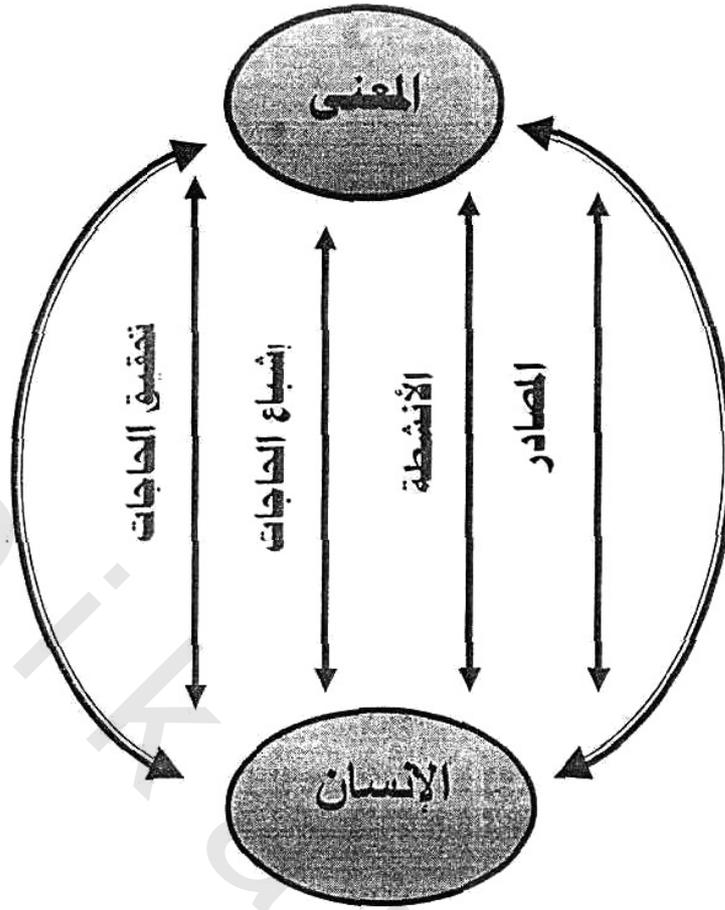
(ب) عرض نظرى وتصورى لتكوين المعاني "معنى النجاح".

هـ/١) تصور نظري تقترحه الباحثة (ويوضحه نكل ٨/٢) لكيفية تكون المعنى نوضحه فيما يلي :

يتكون المعنى إذا توافرت مجموعة من الشروط: (وقد يتم تكوين المعاني أحياناً بوعى وأحياناً كثيرة

بلاوعى) وهى:

- ١/١/هـ مصادر للمعاني: إدراك معرفى ووجدانى لهذه المصادر. ومن هذه المصادر أفكار الفرد وأفكار الآخرين - عادات وتقاليد الأسرة - ثقافة المجتمع الحلى وقيمه - ومبادئه - العقيدة والدين - الثقافة الوافدة من المجتمع العالمى - خبرات مؤثرة متكرر (خبرات إيجابية (نجاح - فرح. . . إلخ) - خبرات سلبية (فقد - معاناة - صراع. . . إلخ).
- ٢/١/هـ أنشطة لممارسة هذه المصادر: فكرية- سلوكية - انفعالية (ترجم ما اكتسبه الفرد من المصادر - حاجات تشبع من مزاوله هذه الأنشطة - تحقيق الحاجات (يصل الفرد لدرجة أن مزاوله هذه النشاطات تكون أساسية فى منهج وسلوك حياته)
- ٣/١/هـ تدعيمات للأنشطة الفكرية /السلوكية/الانفعالية التى تترجم ما اكتسبه الفرد من المصادر المادية والمعنوية _ الداخلية أو الخارجية
- ٤/١/هـ تعديل وحذف لبعض هذه المصادر التى لا تشبع ولا تحقق حاجات وأهداف الفرد.
- ٥/١/هـ استقرار لبعض من هذه المصادر على مستوى المعرفى والوجدانى والسلوكى لدى الفرد إلى أن تصبح أسلوباً له.
- ٦/١/هـ تتكون لدى الفرد المعانى المرتبطة بالمصادر التى مورست ودعمت.
- ٧/١/هـ يسلك الفرد السلوك الذى يترجم المعانى التى يتبناها سواء أكان الفرد واعياً بوجودها أم غير واعٍ بوجودها فى حياته. ويكون له طريقته الخاصة التى يترجم بها المعانى، ولكل فرد طرقه الخاصة به، التى تختلف من فرد لآخر، وتتأثر بالثقافة والقيم والخبرات التى يمر بها الفرد. وقد كشفت دراسة هينى وآخرون عن أن لكل ذات طرق خاصة بها وهى الأفكار التى تعبر عن الفرد وعن التدريبات الاجتماعية والمواقف والمؤسسات الموجودة فى حياة كل فرد والتى تُظهر هذه الأفكار (Heine,et,al. ,1999)
- ٨/١/هـ يحدد الفرد أهدافه والسبل إلى تحقيقها بناء على هذه المعانى، ويختار من الأفراد من يشبع ويحقق له إشباع هذه المعانى لتستمر حياته.



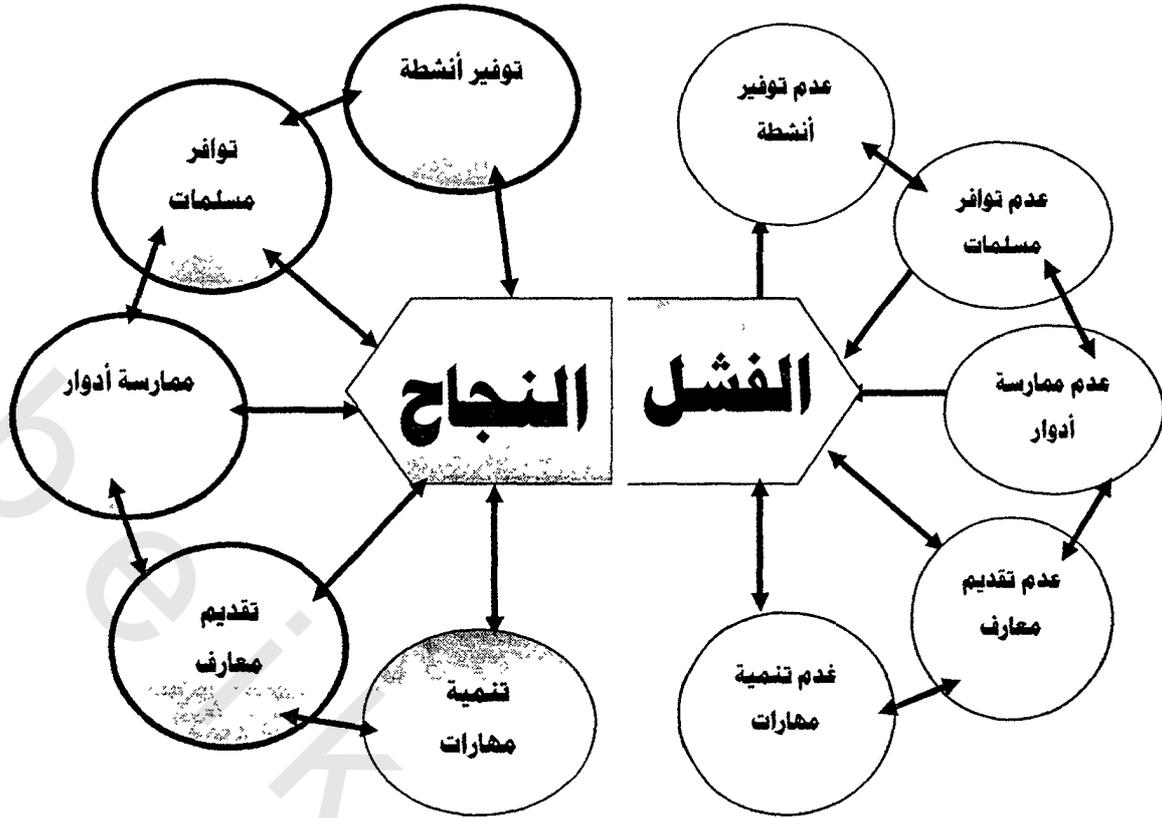
شكل (٨/٢) أهم ما يؤثر في تكوين المعنى

هـ/٢) عرض نظري وتصوري لتكوين المعاني "معنى النجاح".

هـ/٢/١: العوامل التي تساعد على تكوين معنى النجاح وبنائه.

هناك العديد من العوامل التي تساعد على تكوين معنى النجاح يوضحها الشكل رقم (٩/٢) والذي

يتضح منه أن هذه العوامل دينامية تتفاعل معاً لتكوين معنى النجاح لدى الفرد .



شكل (٩/٢) تصور مقترح تفاعلي عن معنى النجاح والفشل والعوامل المؤثرة في تكوينهما وبنائهما

هـ ١/١/٢/ مسلّمات (ظروف مواتية أو مهيئات) :

- ١- طفل أتم فترة الرضاعة.
- ٢- أسرة متفاهمة تؤمن بمعنى النجاح، على دراية بأساليب التربية الصحيحة. تتيح الفرص للأبناء للمرور بخبرات متعددة. وتقدم التدييمات المناسبة في الأوقات المناسبة.
- ٣- مجموعة من الأقران المحفزين للفرد.
- ٤- بيئة مدرسية محفزة.

هـ ٢/١/٢/ توفير معارف :

تقديم معلومات مباشرة وغير مباشرة عن النجاح وأهميته. تتنوع من المعلومة المباشرة إلى القصة أو الأغنية أو التمثيليات والأفلام المصورة والكرتون وألعاب الفيديو والكمبيوتر. . إلخ . يراعى فيها مناسبتها للمرحلة الارتقائية من الطفولة وحتى الرشد. كما لا بد وأن تتضمن هذه المعلومات الجوانب المعرفية - والسلوكية - والوجدانية.

هـ/٢/٣ توفير أنشطة.

توفير عدد من الأنشطة الحياتية المرتبطة بأنواع مختلفة من النجاح يمارسها الفرد على أن تتضمن جوانب معرفية وسلوكية وانفعالية.

هـ/٢/٤ تنمية مهارات

تنمية عدد من المهارات والقدرات التي تزيد من دافعية الإنجاز، وتساعد على حسن إدارة الوقت، والتخطيط الجيد، وإعادة صياغة المشكلات بحثاً عن حلول جديدة. كمهارة تأكيد الذات، والمرونة.

هـ/٢/٥ ممارسة أدوار.

تكليف الفرد بمهام بعينها تكون متناسبة مع عمره وقدراته، يكون مسؤولاً عنها ويحاسب نفسه على نتائجها، فيثيب أو يعاقب نفسه. فالبحث عن المعنى يقر نظاماً من القيم الباعثة على الإشباع تتعلق بموضوعات الحياة المختلفة، وتتجسد إمكانيات النماء والإبداع بتوجيه التعلم ليصل إلى القدرة على التوجيه الشخصي والاستقلال الذاتي، وهذا يتطلب من الطفل أن يتعلم ويساعده على كيفية اتخاذ القرارات والقيام بنفسه والالتزام بنتائج أفعاله وتحمل المسؤولية حيالها. (طلعت منصور، ١٩٧٧، ٣٥١-٣٥٦)

هـ/٢/٦: كيف يتكون معنى النجاح.

عملية تكوين المعنى عملية دينامية بمعنى أن الفرد يؤثر ويتأثر بما يتعلمه ويكتسبه من خبرات ومعارف. ويغير ويعدل مسار أى معارف أو سلوكيات لا توصل للغرض أو النتيجة المطلوبة على مدار حياته. ويعتمد ذلك على التدعيمات الداخلية والخارجية، التدعيمات الداخلية التي يكافئ بها الفرد نفسه عند تعلمه أو اكتسابه خبرة ترضيه. والتدعيمات الخارجية التي يحصل عليها الفرد من البيئة الخارجية وما يرتبط بها عندما يصدر سلوكاً أو يستجيب لموقف أو منبه ما حيث تبين أن الاستجابة الصادرة من الفرد تعتمد على المهمة المطلوبة وعلى وسائل التعزيز أو المنع. (Department of clinical psychology, 1999) هذا بالإضافة إلى المعنى نفسه وكيفية تعلمه.

ولتكوين معنى النجاح لدى الإنسان لابد أن:

تقدم الأسرة والمدرسة والجهاز الإعلامي (المجتمع المحلي) للفرد قدراً مناسباً من المعارف المتعلقة بالنجاح وأنواعه وكيفية الوصول إليه، تقدم على فترات، قبل، وأثناء، وبعد ممارسة مجموعه من الأنشطة تخدم معنى النجاح. هذه الأنشطة تجعل الفرد يعايش النجاح كسلوك وكفكر ووجدان، تجعله يشعر بلذة الوصول إلى نتيجة إيجابية من النشاط المقدم. هذا الشعور يعمل بمثابة التدعيم الداخلى النابع من داخل الفرد لإصدار هذا النشاط مرة أخرى. وبهذا تكون النتيجة الإيجابية (النجاح فى المهام) هى المرغوبة لدى الفرد. ويجاول بكافة الطرق للوصول لها ويحفز نفسه على النجاح. هذا بالإضافة إلى التدعيمات التي تقدمها الأسرة والمدرسة

للسلوك أو الأفكار أو الوجدان الدال على النجاح. الذي يصدره الفرد. كما تقوم الأسرة بالسماح له بتنفيذ بعض الأعمال يخطط لها بنفسه وينفذها بالطريقة التي يراها مناسبة ويتحمل النجاح أو الفشل في هذه المهمة، على أن تناقش معه بعد الانتهاء منها ومعرفة الأسباب التي أوصلت للنتيجة (ناجحة كانت أو فاشلة) ومناقشتها ومعرفة ما وراء النجاح من مهارات وقدرات لتنميتها أو الفشل لإصلاحه وإعادة النظر فيه. وبعد التأكد من وصول المعنى الصحيح دون تشويه معرفي له يسمح له بالتخطيط لمستقبله (الدراسي/المهني/العائلي).

من جانب آخر إذا جاءت النتائج على عكس المتوقع أى لم يتكون معنى النجاح. فسيتكون المعنى السلبي، وهنا يكون الفشل. ويمكن تغيير هذا المعنى السلبي الذي تكوّن لدى الفرد عن طريق إحلال خبرات أخرى تكون مثمرة وإيجابية له، وعن طريق تغيير المعارف المشوشة التي كونها. بالإضافة إلى تغيير الوجدان السلبي. وبهذا نكون قد تدخلنا من خلال الجوانب الثلاث المعرفية والوجدانية والتي بدورها تؤثر في الجوانب السلوكية. ويتم ذلك من خلال الأنشطة والمدعمات وتنمية المهارات. . . إلخ .

ويوضح "طلعت منصور" (١٩٧٧) أن إرادة البحث تشير إلى المعنى بإقرار نظام من القيم الباعثة على الإشباع تتعلق بموضوعات الحياة المختلفة وهو نظام يضيف على الوجود الأساسى إشراقاً وسمواً وتجسد إمكانيات النماء والإبداع بتوجيه التعلم؛ ليصل إلى القدرة على التوجيه الشخصى والاستقلال الذاتى، وهذا يتطلب من الطفل أن يتعلم ويُساعد على كيفية اتخاذ القرارات والقيام بنفسه والالتزام بنتائج أفعاله وتحمل المسؤولية حيالها. (طلعت منصور، ١٩٧٧، ٣٥١، ٣٥٦)

ويتفق هذا التصور مع ذكره "عبد السلام عبد الغفار" من أن هناك عوامل مؤدية إلى المعنى ومنها: التكوين العقلى الذى يساعد على إدراك وفهم ما يحيط به من ظواهر وتسجيل ما يتعرض له من خبرات من جيل إلى جيل - قدرة الإنسان على التعلم والاستفادة مما يمر به الآخرون والذي يساعده على اكتشاف هدف ومعنى لوجوده - قدرة الإنسان على السمو فوق تكوينه البيولوجى وهو يسمو حتى يبلغ فى سموه حد الالتزام بالرسالات السماوية (عبد السلام عبد الغفار، ١٩٨١، ص ١٨٩-٢٢٤) وقد كشف "فرى ٢ . . ." عن أن الدين والممارسات الروحية والإحساس بالسلام الداخلى المستقى من الدين، والمصادر الاجتماعية - وأحداث الحياة عناصر مهمة فى تكوين المعنى الشخصى للأفراد. (Fry,2000) فضلاً عن أن انشغال الأفراد بحياتهم الاجتماعية والنفسية يؤثر فى تكوين معنى الحياة لدى الأفراد حيث كشفت دراسة (سانا وآخرين ٢٠٠١) من أن الإنشغال الاجتماعى والنفسى لدى المسنين له تأثير على نموذج معنى الحياة (Sanna,et,al., 2001)

(و) ارتباطات المعانى :

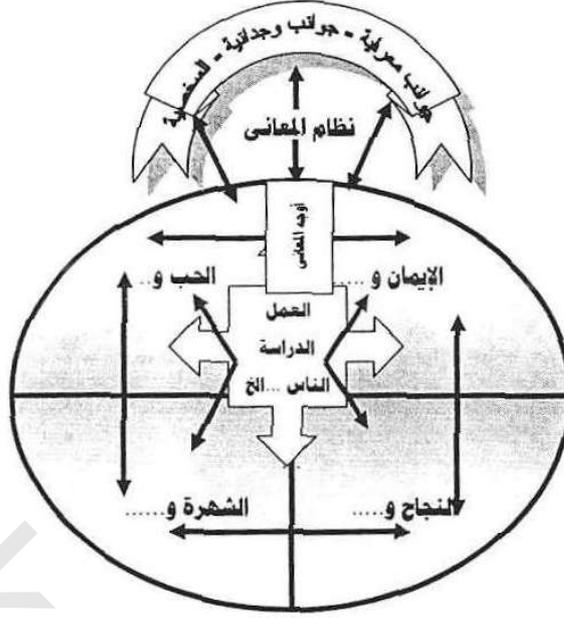
وكما أننا لا نستطيع أن نقسم الإنسان لقطاعات منفصلة عن بعضها لتفسير السلوك الصادر منه، لأن سلوك الإنسان يصدر عنه كوحده متكاملة، فنحن أيضاً لا نستطيع أن ننظر للمعاني التي يتبناها الإنسان لحياته من

زاوية واحدة، فلا بد وأن ننظر إليها من خلال الإنسان ككل متفاعل، ويمكن أن نفترض وجود نظام خاص بالمعاني يعمل داخل الإنسان يبلور المعاني ويعدّلها ويكوّن معاني جديدة. هذا النظام لا بد وأن يكون دينامياً وشبكياً بمعنى أن المعاني التي يتبناها الإنسان تتفاعل معاً وتتؤثر في بعضها البعض من خلال هذا النظام في تناسق وانساق. ويحدث التناقض إذا تعارضت هذه المعاني فيما بينها، فيلجأ الإنسان إلى إعادة صياغتها مرة أخرى وتعديل بعضها من خلال الجوانب: (المعرفية والوجدانية وسمات الشخصية) و الأوجه المختلفة للمعنى (العمل - الدراسة - الناس . . . إلخ).

ولننظر إلى الأوجه المتعددة لمعنى الحب مثلاً نجد أنها متمثلة في: حب الله - حب الوطن - حب النجاح - الحب الرومانسي - حب الشهرة - . . . إلخ وهذه الأوجه تتفاعل مع الأوجه المتعددة للمعاني الأخرى كالنجاح، الشهرة، والغنى، الإيمان.

ويصدق هذا الكلام على معنى النجاح الذي له عدة أوجه أيضاً والمتمثلة في: النجاح في العمل - النجاح في التعامل مع الآخرين - النجاح في عبادة الله - النجاح في الدفاع عن الوطن. . . إلخ وأيضاً الإيمان: إتقان العمل - إرضاء ومساعدة الآخرين - حب الله. . . إلخ والشهرة كمعنى أيضاً أوجهها: النجاح في العمل - إرضاء الآخرين - الفخر بالأعمال. . . إلخ.

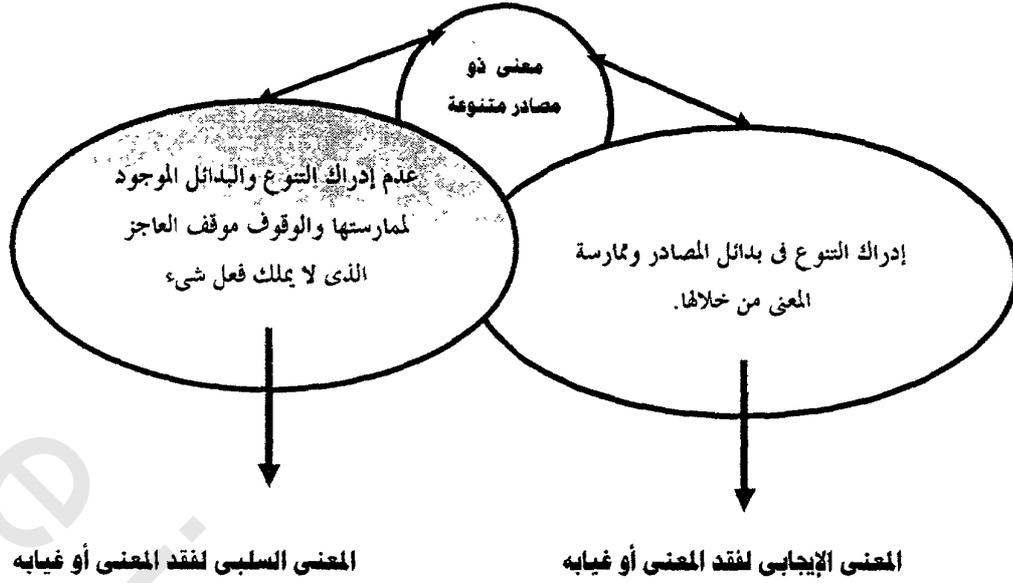
وهنا نجد التداخل بين المعاني واضحاً فأوجه المعاني متشابكة وتتأثر وتتؤثر في بعضها البعض، فالإنسان الذي يحب العمل - وهو أحد أوجه معنى الحب - يحب النجاح الذي هو أحد أوجه معنى النجاح ويتفاخر به أمام الآخرين، وهو من أحد أوجه معنى الشهرة هذه الشبكة من العلاقات بين المعاني تربط المعاني فيما بينها من خلال النظام الخاص بالمعاني داخل الإنسان. وتوجهه إلى الأنشطة التي تحقق وتُشبع هذه المعاني وتدعم بعضها البعض. وهذا أيضاً يصدق على المعاني السلبية كالفشل، والكراهة، والإيمان الظاهري كمؤشر للإيمان في الشكل فقط. . . إلخ. وتقتصر الباحثة الشكل رقم (١٠/٢) توضح فيه نظام المعاني الذي تقترحه وارتباطاتها:



شكل (١٠/٢) نظام وارتباطات المعانى

ز) توجيه المعنى :

يتطلب تكوين المعنى لدى الإنسان داخل (نظام المعانى) وجود "وجهه" يوجه إليها الإنسان المعنى الخاص به والذي كونه (مروراً بخطوات تكوين المعنى السابق شرحها) ليوجه إليها هذا المعنى. أى أن المعنى يتكون لدى الإنسان ويعود ويوجهه إلى مصادر أخرى يحقق من خلالها نفس المعنى. وفي الحالات السوية لا بد وأن تتنوع لدى الإنسان المصادر الخاصة بأى معنى، حتى إذا ما حدث وقابل الإنسان عقبة أو إعاقة أعاقته تحقيقه أو إشباعه توجه المعنى تجاه مصدر بعينه من هذه المصادر المتنوعة بشكل كلي أو جزئى، فيقوم الإنسان بتحويل أو توجيه مسار أنشطته إلى المصادر الأخرى الخاصة بنفس المعنى، أى يبحث الإنسان عن بدائل قريبة للمعنى ويتوجهه إليها لتستمر الدائرة التي لا تغلق ليس عند حد ارتباطات مصادر المعنى الواحد فقط ولكن بارتباط المصادر المعانى المختلفة بعضها ببعض. وهذا يوضح الجانب الإيجابي من غيوم أو فقد المعنى لدى الإنسان عندما يدرك الفرد البدائل القريبة من المعنى بتوجيهه إليها، إذا لم يستطع الإنسان إدراك هذا التنوع في المصادر، ولم يستطع التعامل مع هذه البدائل الموجوده أمامه واختيار المناسب له وتوجيه المعنى نحوه يحدث غياب أو عدم وضوح أو فقدان للمعنى "ويمكن تسميته بالجانب السلبي" من فقدان المعنى. وهذا ما يوضحه الشكل رقم (١١/٢)



شكل (١١/٢) كيفية توجيه المعنى

ويتحقق المعنى لدى الإنسان إذا وجه المعنى إلى مصدر من المصادر المتنوعة التي يرغبها، بشكل دينامي متفاعل مع كل جوانب الإنسان الداخلية والخارجية. فإذا تعذر له ذلك وجه المعنى إلى مصدر آخر من مصادر المعنى، ولتوضيح ذلك نفرض أن الحب هو المعنى الذي تكوّن لدى الإنسان، وليكون ذا تأثير في حياته لا بحد وأن يوجه هذا المعنى (الحب) لمصدر من المصادر التي تتفق وميوله والظروف المحيطه به وطبيعة شخصيته، ومن هذه المصادر: توجيه معنى الحب إلى "الله" فيظهر التدين - أو لفرد بعينه (الحبيب - طفل) فيظهر الحب الرومانسى، أو حب البنوة - أو يوجهه لشيء مادي أو معنوي العمل أو التشجيع فيظهر حب النجاح. وبالتالي يقوم الإنسان بإصدار كل الأنشطة والسلوكيات التي تعبر وترجم هذا المعنى. للمصدر نفسه، فمثلاً إذا وجه معنى الحب لشخص ما كالحبيب أو الإبن وحدث فقد لهذا المعنى بالضياع أو الموت - مثلاً - فإن الإنسان يسلك أحد طريقين الأول سلبي؛ إما أن يضطرب أو يكتب أو يلجأ إلى طرق سلبية لمواجهة هذا الفقد، لأنه لم يستطع أن يدرك البدائل القريبة من المعنى ويوجهه إليها .

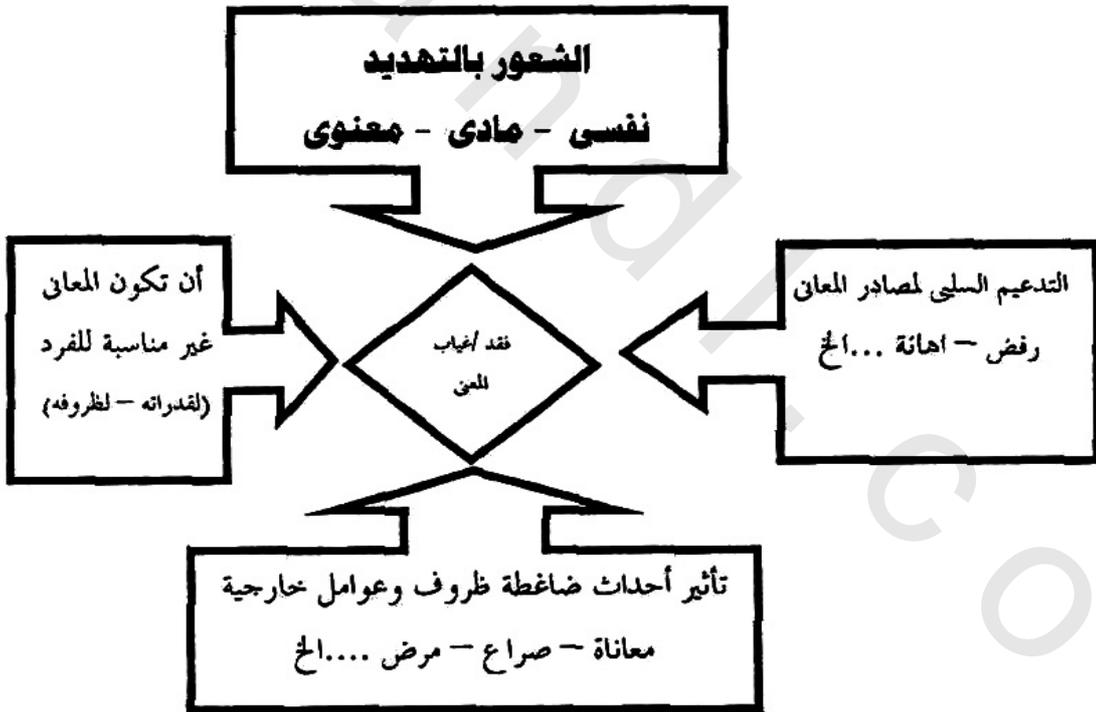
الطريقة الثانية إيجابية؛ ويكون لدى الإنسان تبصر بالبدائل الموجودة والقريبة من المعنى والتي من الممكن أن تكون بمثابة تعويض له عن هذا الفقد. ويختلف كل إنسان عن الآخر في اختياره للبدائل الذي يكون عوضاً عن

المعنى المفقود أو الذى غاب عنه، ففى حالة فقد الحبيب مثلاً قد يتجه الواقع عليه ضرر الفقد إلى العمل أو المساعدة فى حل مشاكل الحزين . . . الخ أما حالة فقد الإبن فقد يتجه إلى العمل أو مساعدة أطفال أيتام أو التدين . . . الخ.

فعملية توجيه المعنى تعطى للمعنى صفة الدينامية والاستمرار والدخول فى دوائر متداخلة من العلاقات المتشابكة والتي تشمل جوانب متعددة من الحياة التى يعيشها الإنسان. وتتدخل فيها سياقات متعددة؛ منها ما هو مرتبط بالفرد ومهاراته وقدراته وميوله، ومنها ما هو مرتبط بالسياقات المحيطة بالفرد.

(ح) فقد معنى الحياة لدى الفرد وأسبابه.

ماذا يحدث لو شعر الإنسان بالتهديد النفسى أو المعنوى كفقده للحب - للأمان - للأصدقاء . . . الخ ؟ ماذا يحدث إذا تم تدعيم مصادر المعانى سلبياً أو إذا كانت المعانى غير متناسبة مع الفرد؟ ما تأثير الأحداث الضاغطة من ظروف وعوامل خارجية (معاناه - صراع - المرض . . . الخ) فى فقد أو عدم وضوح للمعنى ؟ ولتفسير هذا تقدم الباحثة تصور نظرى، وتوضحه فى الشكل رقم (١٢/٢)



شكل (١٢/٢) يوضح أسباب فقد المعنى أو غيابها

في مراحل عُمر الإنسان المختلفة يحدث فقد أو عدم وضوح لبعض المعاني في حياته. ومن أهم الأسباب وراء ذلك الشعور بالتهديد النفسى على المستوى المادى أو المعنوى؛ فتهديد الأم أو أحد الأقارب الدائم للطفل مثلاً بتركه وحرمانه من حنانهم يفقده الشعور بالأمان وبالتالي لا يتضمن نظام المعاني لديه معنى الأمان؛ فيكون إما غائباً أو مشوشاً غير واضح المعالم عنده أو أن يفقده. فقد كشفت دراسة "حسان ويور" عن أن درجة التهديد، واللوم من أهم الأحداث الضاغطة التي مرت بالأطفال خلال الشهور الخمسة الماضية (وقت إجراء الدراسة)، وذلك في دراسة على عدد (٢٠٠) طفل أعمارهم من (٩-١٢) سنة. (Hasan,Power,2004). بالإضافة إلى أن اتسام الأصدقاء بصفات الغدر وعدم الود وعدم المساندة في وقت الشدة يُفقد الإنسان معاني الصداقة.

وكذلك التدعيم السلبي لأى مصدر من مصادر المعاني التي يقابلها الإنسان في حياته كأن يعاقب كلما أصدر نشاط "فكرى /سلوكى / انفعالى" يعكس لديه معنى ايجابي؛ فمثلاً يعاقب أو يوبخ أو يهان بشكل دائم على تقديم المساعدة للغير أو عندالمحافظة على ممتلكات الغير، وعند قول الصدق، وعلى العكس مثلاً يكافأ على عدم تقديمه المساعدة للغير، وعند التخريب والإعتداء على ممتلكات الغير، أو تدعيم قول الكذب. . الخ بالإضافة إلى الأحداث الضاغطة والعوامل الخارجية المؤلمة. كما أن تكرار المرض، وفقد المقربين، وكثرة المعاناة من المشاكل غير القابلة للحل قد يفقد الإنسان معنى السعادة، وحياناً عدم الرغبة في الحياة نفسها. كل ماسبق يؤثر بشكل كبير على فقد أو غياب المعاني لدى الإنسان.

ومع ذلك فإن كل الأسباب السابقة على الرغم من كونها قد تسبب فقداً أو غياباً للمعنى إلا أنها قد تخلق معاني جديدة إيجابية لدى الفرد، وقد يرجع السبب في ذلك إلى الفرد نفسه وما يمتلكه من قدراته وسمات شخصيته، تتناسب مع المعاني ومدى توافقها مع سياقه هو فإذا لم تتوافق المعاني مع قدرات وسمات الفرد فإنها تغمى أو تفقد، أما إذا توافقت مع سياقه وتكوينه النفسى فإنها تخلق لديه معاني أخرى جديدة. وقد وجدت صفاء إسماعيل (١٩٩٨) أن مواجهة الألم والمرض والموت من التجارب الفردية في حياة كل إنسان مصاب، وردود فعل كل مريض تختلف عن الآخر فمنهم من يتحمل ويحمد الله ويدعو ربه للشفاء ومنهم من يعترض،وقد وجد "على وآخرون ٢٠٠٢" أن هناك ارتباط بين نمط ضغوط الحياة وبعد المعنى. (Ali, et, al. , 2002) كما نجد في التراث ما يؤكد ذلك في نظرية بناء وتوسيع الانفعالات الإيجابية لفردريكسون (١٩٩٨-٢٠٠١) والذي يفترض أن الانفعالات الإيجابية تعمل كمكونات نشطة ضمن سمة المرونة، فقد تبين أن الانفعالات الإيجابية والتي منها: الاهتمام، والحب، والامتنان، قد تواجه الهجمات والأزمات التي تصادف الإنسان. وقد فسرت العلاقة بين سمة المرونة وبين تطور الأعراض الاكتئابية وأيضاً بين السمات قبل الأزمة ومدى غورها في المصادر السيكولوجية. وقد أظهرت النتائج أن الانفعالات الإيجابية تزدهر بعد أحداث الصدمة، كما أن الانفعالات الإيجابية تحسّن من ظروف الذين يتعرضون للمصائب، وقد يرجع ذلك إلى وجود انفعالات إيجابية تظهر في الموقف إلى جانب

الانفعالات السلبية. فعلى سبيل المثال درست الانفعالات الإيجابية والسلبية المصاحبة لأحداث الحادى عشر من سبتمبر، فإلى جانب انفعالات الخوف والقلق والحزن واهتزاز الإحساس بالأمان، ظهرت انفعالات إيجابية: كالإحساس بالأمان على الأقارب البعيدين عن الأحداث، ومشاعر التضامن التى تنشأ مع مشاركيهم فى الحدث، وإعادة صياغة للمشاعر الخاصة بعائلاتهم وبعلاقات الشخصية لتكون أكثر مودة وقوة (Barabara,et,al. , 2003) فعندما يمر الإنسان بأزمة شخصية يتجه إلى الأعمال ذات المغزى لاستعادة السيطرة والحالة الطبيعية لحياته، فهناك ارتباط بين فهم الفرد لذاته وكفاءته وبين الأعمال ذات المغزى، فالأزمة قد تتحدى قدرة الإنسان على العمل وتعطى له معنى للحياة. فقد وجد أنه يتم إعادة تكوين لبعض خصال الشخصية وإعادة صياغة وهيكله للنفس للوصول للتفوق الذاتى. (Vikjan,Polgar,2001)

ط) تأثير فقد المعنى على سلوك الفرد:

لا يؤثر فقدان المعنى نتيجة للأحداث الضاغطة أو السلبية أو غيرها فى وجدان وسلوك الإنسان فقط بل فى الجوانب المعرفية أيضاً لديه سواء على نحو إيجابى أو على نحو سلبي، فقد تدفع الإنسان إلى محاولة لاكتشاف نفسه مرة أخرى واكتشاف معانٍ أخرى إيجابية يعيش لها وبها، وقد تدفع الإنسان إلى اللجوء إلى طرق أخرى سلبية قد تؤدى به إلى الانتحار المادى المؤدى للموت أو الانتحار النفسى ممثلاً فى الإدمان أو الانحراف.

وعند كثير من الأفراد يستطيعون تحمل تأجيل الإشباع أو الحرمان النفسى أو الاجتماعى والاقتصادى، ولكنه لا يستطيع أن يتحمل خلو الحياة من الهدف والمعنى - وإن كان إشباع الحاجات قد يكون عند بعض الأفراد هو المعنى وبالتالي يكون الهدف من الحياة لديهم هو إشباع الحاجات، كما عند الفرد الذى يجد متعته فى الطعام أو غيره - وعندما يكتشف الإنسان معنى حياته فإنه يصبح مستعداً لتحمل المعاناة. ولتقديم التضحيات حتى بحياته نفسها من أجل الحفاظ على هذا المعنى. وعلى العكس من ذلك، عندما تفقد الحياة معناها فقد يضطر الإنسان للانتحار، وهو يقدم على الانتحار حتى لو بدت كل احتياجاته الأخرى مشبعة. (عبد الرحمن سليمان، إيمان فوزى، ١٩٩٩). فقد لاحظ "فرانكل" أن نسب الانتحار كانت مرتفعة بين طلاب بعض الجامعات الأمريكية، وأن الذين أقدموا على الانتحار - فى معظمهم - كانوا من الطلاب الذين ينتمون إلى أسر ميسورة وعلاقتهم الإجتماعية طيبة وحتى مستوى تحصيلهم وأدائهم الأكاديمى كان طيباً إلى حد كبير. أى أن الظروف المحيطة بهم تبدو جيدة ولا توحى بأن هؤلاء الطلاب قد يصل بهم اليأس والإحباط إلى حد يدفعهم للتخلص من حياتهم. واتضح أن نسبة كبيرة من الناجين من محاولات الانتحار قرروا فيما بعد أنهم فعلوا ما فعلوا لأن الحياة لم تكن تحمل لهم أى معنى، وهى بذلك لم تكن حياة تستحق أن تعاش. فالإنسان إذن إذا لم ينجح فى اكتشاف المعنى الذى تنطوى عليه حياته، فإن هذه الحياة تصبح ضئيلة القيمة، ويصبح من العبث أن يجهد الإنسان ذاته فى تحمل مصاعبها. حيث تتحول يوماً بعد يوم إلى عبء ثقيل لاجدوى من الاستمرار فى مصارعتة وقد كشف ميلانى ورونال (٢٠٠٣) عن أن التوافق مع الأحداث الضاغطة ووجود الغرض من الحياة يقلل من احتمالات حدوث

الانتحار لدى الأفراد (Melanie,Ronald,2003). لهذا يدعو أنصار مدرسة فرانكل إلى تركيز الجهود حول مساعدة الإنسان على أن يكتشف بنفسه معنى الحياة، ويلخص هذا الموقف "ساهاكيان" بقوله: "المعنى موجود دائماً وفي كل مكان- حتى في المعاناة. النوع الوحيد من المعاناة الذي لا يمكن احتماله هو ذلك الذي يبدو بلا معنى. فإذا لم تستطع أن تفهم أسباب معاناتك لن تتمكن من احتمالها. إن التعاسة في حد ذاتها ليست شيئاً لا يمكن تحمله، ولكن غياب المعنى هو الذي لا تتحمله. والمعاناة التي لا يمكن تفاديها عندما تتحول إلى خيرة ذات معنى لا تصبح شيئاً يمكن احتماله وحسب، ولكن تصبح شيئاً مثيراً للهمم وروح التحدي. إذا كان لديك معنى للحياة فلن يكون هناك شيء في الحياة لا يمكن التغلب عليه ولن تكون هناك معاناة لا يمكن احتمالها (عبد الرحمن سليمان، إيمان فوزى. ١٩٩٩).

يتضح مما سبق أن فقد المعنى له تأثيران على سلوك الإنسان:

ط/١ فقد المعنى الذي يولد معاني إيجابية.

ط/٢ فقد المعنى الذي يولد خبرات سلبية واضطراب.

ط/١ فقد المعنى الذي يولد معاني إيجابية :

تؤكد بعض الدراسات أن الأحداث السلبية الحادة من الممكن أن تنتج عنها نتائج إيجابية حيث إن الأفراد الذين يمرون بخبرات ومشاعر الفقد (لحبيب /أب /الصديق) مثل هذه الخبرات المؤلمة تخلق لدى الكثير منهم معاني أخرى إيجابية بعد فترة من الفقد، وإيجاد تفسيرات بديلة للفقد ومحاولة إدراك أى فائدة لحياقتهم . فقد تجعلهم يركزون على العلاقات مع بعض الأفراد القريبين منهم أو أن يغيروا من خطط حياتهم بشكل أفضل الأمر الذي ينتج عنه نتائج إيجابية في الحياة. بالإضافة إلى أنهم يحاولون وضع معنى وتفسير للحدث (الفقد) فقد يرجعون إلى إرادة الله باعتبار أن الموت بيد الله أو إلى أسلوب حياة المفقود نفسه؛ أى إلى الحياة التي كان يعيشها كأن يكون مدخناً مثلاً. وقد حاول العلماء دراسة هذه الظاهرة من جانبين الأول: لإلقاء الضوء على المعنى من وراء هذه الأحداث والثانية: معرفة الجوهر أى معرفة القيمة التي يضيفها الحدث على الحياة، وكيف أن هذه الأحداث قد تصنع معنى آخر للحياة. كما درسوا أيضاً العلاقة بين التأقلم والتحديات التي تؤثر في المعاني (الفقد) وكيف أن الفرد يحاول أن يجاهد هذه التحديات ويحاول إعادة النظر في الأهداف والخطط الموضوعية للحياة وجعلها فرصة للنمو وليست للهدم واستخدامها كإستراتيجية للشخصية تساعد الإنسان على احترام ذاته وتقويتها كما تعتبر محاولة لفهم الذات بصورة أوضح. وهنا يدخل مفهوما التشاؤم والتفاؤل وارتباطهما بمثل هذه العلاقات والتأقلم، فالمشاكل تتكون لديه توقعات مناسبة لمستقبله أكثر من المتشائم. كما أن الاعتقادات الدينية أو الروحية لها تأثير مهم في فهم الفقد، هذا بالإضافة إلى تدخل عوامل أخرى تزيد من إحساس الفقد كدرجة قرابة المفقود، فقد وجد أن فقد الطفل هو أصعب أنواع الفقد. (Chrislopher,Susan,1998) ووجد بالذکر أن الشعور بالفقد لا يقف عند حد الموت فقط فهناك أنواع أخرى من الفقد لها نفس التأثير، فنجد أن فترات العمر التي يمر بها الفرد قد تعرضه للشعور بفقد بعض المعاني مثل مرحلة الشيخوخة التي يعتبرها البعض

مرحلة فقد معنى الشباب والقدرة على الإنتاج لدى الإنسان، وقد تسبب القلق الأمر الذى يحثه علم الأحياء الجديد- الذى يدرس الشيخوخة وكيفية تحسين نوعية الحياة فيها، والتخطيط لها بشكل أطول وأعمق وأثمر. وهنا وجد أن أن إمتداد قيمة الحياة تعتمد على أنواع الحياة والخطط التى يرسمها الأفراد، ثم تقييم حاجات امتداد الحياة لديهم، والتخطيط لها، ووضع حسابات لمدى تأثيرها فى قيمة الحياة التى تعتمد على الاختلافات فى نوع الحياة التى يحيها الأفراد، وبالتالي فى الخطط التى يخططونها لحياقتهم، فاستمرار المستقبل مثلاً يتطلب مواصلة لنفس العلاقات المماثلة فى العمل والزواج، بغرض تحقيق أهداف معينة منها. أو أن تكون الأهداف مرتبطة بالمدن والتعب. وعلى أية حال فالأهداف قد تكون غير محددة وتختلف باختلاف الأفراد وما يناسبهم. (Gems,2003)

بالإضافة إلى أن أهداف الحياة والأنشطة ذات المعنى تزيد من أنشطة جهاز المناعة (People,Medical Society New Slller. 2003).

ط/٢ فقد المعنى الذى يولد خبرات سلبية واضطراب :

يلجأ الأفراد الذين يفقدون معنى فى حياتهم إلى البحث عن أشياء تدمرهم، حيث وجد أن العامل الأساسى فى الإفراط فى إدمان المخدرات هو الفشل فى خلق معنى أو غرض للحياة يعيش به الإنسان، واعتبره فرانكل محاولة للهروب بالأعراض العصبية والعدوان والاكئاب والإدمان. فتوافر المخدرات أمام الإنسان - أى سهولة الحصول عليها - ليس هو السبب الأساسى للإدمان، ولكن جزءاً كبيراً منه يرجع إلى تصور الفرد عن الغرض من حياته، فتشير نتائج بعض الأبحاث إلى أن المدمنين تكون درجاتهم أقل على مقياس الغرض من الحياة عن غيرهم. (Neely, 1998) وتحكى لنا القصص المثيرة الواقعية الامبريقية كيف أن مجموعة من رجال الأعمال سقطوا فى براثن الإدمان الكحول والمخدر بسبب اليأس وعدم وجود المعنى الذى بذلت جهود محاربتهم ومحاوله إيجاد معنى لحياقتهم ومحاربة هذا اليأس، كما أن الأحداث المؤلمة - التى تمثل للفرد أزمة وجودية- والمعاناة- التى يعانى منها الأفراد- تأتي نتيجة لفقد المعنى، ونرى تأثير ذلك واضحاً فى الشعوب التى تعرضت للغزوات ، فقد أثبتت الدراسات أن هناك نتائج سلبية لهذا الغزو ومنها ازدياد حالات الاضطراب النفسى (احمد عبد الخالق، ١٩٩٨)، مثل غزو العراق للكويت، وتحليل ذلك نجد أنهم قد فقدوا معنى الأمان المتمثل فى الوطن، وأصبحوا بعد أن كانوا أمنين مطمئنين فى حضن الوطن واجههم التهديد والتشتت ليس على المستوى المعنوى النفسى فقط ولكن على المستوى المادى أيضاً.

ويؤكد فرانكل من أن فقدان المعنى يؤدى إلى الخسارة والكآبة، ويعتبر المراهقون وكبار السن أكثر الفئات إحساساً بهذه الكآبة والخسارة حيث إن المراهقين يعانون من الدعم الضعيف وقلة الثقة بالنفس ومستقبلهم يبدو بائساً، وفى هذه الحالة من التوقعات السيئة لمستقبلهم يصبحون غاضبين وخائفين وانتحاريين حيث يتأملون الموت كالبديل إلى الإيجاد فى حالة من اليأس والحيرة. بينما كبار السن يجدون أنفسهم بعد التقاعد أنهم خسروا العديد من النشاطات الاجتماعية، ويجدون أنفسهم بلا غرض حقيقى للحياة. وقد يواجه الأفراد اليأس بالمخدرات كعزاء مؤقت لهذه الحالات. والعلاج والحل فى البحث عن المعانى الجديدة واكتشافها وإعادة

هيكل الحياة فإدراك أهمية المعنى للحياة تعدل العالم من حولنا وتؤثر بالتالى فى صحتنا النفسية والجسدية.
(Ashbyw,et. ,al, 2002)

فالإنسان إذن- فى ضوء التصور الإنسانى- لا يسعى فقط لإشباع غرائزه أو لتهيئة أفضل ظروف إجتماعية يعيشها. لأن هذا وحده لا يسعده ولايرضيه. ولكنه يهتم أساساً بأن يكون هناك معنى ومغزى لحياته، وهدف وقيمة يتوجه إليهما. وفى ضوء هذا المعنى وتلك القيمة يجد الحياة- بكل ما تحمله من كبد ومعاناة- تستحق أن تعاش. فبحث الإنسان عن معنى لحياته قوة أولية فى حياته، وليست تبريراً ثانوياً لدوافعه الغريزية، وهذا المعنى متفرد وخاص ويجب أن يصل إليه ويحققه الشخص نفسه وبهذا فقط تتحقق أهميته. وهناك بعض الكتاب يؤكدون أن المعانى ليست إلا عمليات نفسية دفاعية وتكوين رد فعل وتسام، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يموت الإنسان فى سبيل مثله وقيمة" (محمد عبد الفتاح، ٢٠٠٢، ٨٤) فبحث الإنسان عن معنى الحياة بحث عن الوجود(Tom, 2002).

ي) الخبرات والمعانى :

يمر الإنسان بالعديد من الخبرات النوعية ذات القيمة، وتكون مرتبطة بكل ما يتصل بحياة الإنسان: بالتفكير، والسلوك، والوجدان، والنوم، والتعليم، والزواج، والحب، والكره، والعدوان، والمرض، والصراع... الخ حيث يمر الفرد بالعديد من هذه الخبرات التى تمر عليه من خلال المواقف الحياتية المختلفة. وقد تؤثر هذه الخبرات فى الفرد ويكون من خلالها معانى لحياته التى يعيشها ويتبناها فى كل مواقفه، ويؤثر فى ذلك نوعية الخبرات التى يمر بها والتى تتأثر بمدى تعميمها وتكرارها وقوة تأثيرها، وطوال حياته يعيش متفاعلاً مع كل ما يحيط به من أفراد / البيئة / الثقافة / القيم / العادات ... وهذه الخبرات لها أثر كبير فى تحديد سلوكه الذى هو نتاج عمليات معرفية وأحكام ومعان قد يكونها من خلال مروره بهذه الخبرات وظروف حدوثها- والطريقة التى تحدث بها، وارتباط هذه الخبرة بالفرد، وتكوينه النفسى ويزيد من قوة هذه الخبرات أن تكون متكررة وتكون شديدة التأثير. وتنقسم الخبرات التى يمر بها الفرد إلى نوعين :

خبرات إيجابية مثل المرور بخبرات الشعور بالحب - الفرح - الزواج - استقبال الأطفال - النجاح - المكسب المادى - الشفاء - الشعور بالأمان والاستقرار.... الخ.
خبرات سلبية مثل شعور الفرد بفقد الحب أو فقد انسان عزيز- المرور بخبرات الفشل، الخسارة، الطلاق، المرض، الصراع، المعاناة... الخ.

وكلا النوعين يكونا مؤثرين فى تكوين أو فقد المعانى. وطبيعى أن تكون الخبرات الإيجابية مؤكدة للمعانى الإيجابية الخاصة بالفرد فمثلاً إذا كان دائماً يمر بخبرات متكررة من خلال مواقف تعطى له شعور بأنه محبوب ويجب فإن معنى الحب سيكون ضمن تكوينه النفسى. وكذلك الحال بالنسبة لخبرات النجاح والاستقرار.... الخ

إلا إذا كان هذا الشعور "شعور الفرد بأنه محبوب" زائفاً أو زائداً عن الحد بشكل يعطى صورة مخالفة للحقيقة فيصل بالفرد إلى الغرور أو الاستهتار أو الاستهانة بمشاعر الآخرين. وعلى ذلك فإن الخبرة نفسها وكيفية حدوثها وظروف حدوثها قد تؤثر بصورة سلبية حتى وإن كان فحواها إيجابياً وهو إشعار الفرد بأنه محبوب.

ونجد هذا أيضاً في الخبرات السلبية المتمثلة في: - الصراع-المعاناة- الفقد فرغم أنها خبرات سلبية فقد تخلق معاني إيجابية لدى الفرد، ففقد الحبيب مثلاً قد يؤدي بالمحبوب إلى أن يصر على النجاح في جانب آخر من حياته، فيبحث فيها ليكشف جانب آخر من حياته غير الحب يستطيع أن ينجح فيه. حتى يثبت لحبيبه أنه ما زال موجوداً وناجحاً وأنه يستطيع أن يعيش وينجح بدونه. وأيضاً عند فقد شخص عزيز بالموت فقد يخلق لديه معنى إيجابياً آخر كزيادة الإيمان بالله والتقرب منه مثلاً لعل ذلك يجعله ينال ثواب الصبر ويتعمق في الدين كى يصل إلى المعاني الأسمى للحياة. والذي يصارع المرض ويعانى منه قد يجد في صراعه ومعاناته معاني أخرى غير معاناة الألم، وهى الإصرار على الحياة والبحث عن معاني أخرى يستمدّها من حياته كحب الآخرين له والعدل، والصدق، والتحدى إلى آخره.

ونجد ذلك مع من يُحرم من حريته في السجن مثلاً فإن منهم من يحاول أن يجد وسط هذه المعاناة سبلاً وطرقاً أخرى للحياة، فنجد من يحاول إكمال تعليمه داخل السجن أو يتعلم حرفة أو يتزوج أو يتدين. وتدعم بعض البحوث الفكرة القائلة بأن أحداث الحياة الضاغطة يمكن أن تكون محفزة لتغيرات نفسية إيجابية تكون لها تأثير مفيد في الصحة الطبيعية بشكل عام، بالإضافة إلى تأكيد أهمية اكتشاف المعنى والمعالجة الإدراكية وتشير الدراسات من أن الأفراد الذين يكتشفون معنى إيجابياً بعد المرور بالحدث المؤلم أظهروا تغيرات إيجابية ليس فقط على المستوى النفسى ولكن أيضاً على مستوى الصحة والمانعة، فمن الممكن أن تكون الفكرة القائلة بأن الأحداث الضاغطة أحداث محفزة تخلق تغيرات نفسية إيجابية. وقد استخلصت هذه النتائج من خلال تقييمهم للحدث والمعالجة الإدراكية للمواقف مرة أخرى (والمعالجة الإدراكية هنا هى عملية تنشيط تستدعى الأفكار والمشاعر ونتائجها على الحياة والمستقبل) واكتشاف المعنى (واكتشاف المعنى عرف على أنه: عملية تغيير رئيسى في أولويات القيم أو المنظور (الرؤيا) رداً على الخسارة الحادثة) وكيف أن لها أثراً إيجابياً على الصحة العامة بشكل عام بالإضافة إلى التأثير الإيجابي على جهاز المناعة فقد ظهر ذلك من متابعة مجموعة من الأفراد لمدة تسع سنوات. (Edower, et. al,1998)

كما يؤكد ليث Leath, 1999 هذه الوجهة من النظر حيث يرى أن إدراك الفرد لما يمر به من خبرات حياتية يؤثر في تكوين المعانى لديه ويرى أنه يلزم لتقدير خبرات المعنى لدى أى فرد أن يؤخذ في الاعتبار كم الفرص المدعمة انفعالياً التى يدركها الفرد من حيث الكم والتنوع . والى أى مدى يبحث الفرد عن هذه الفرص المدعمة. ومدى استمرارها أو استقرارها، وكيف تتكرر(Leath,1999).

ك) الجوانب الوجدانية فى تكوين المعانى :

تلعب الجوانب الوجدانية دوراً أساسياً فى تكوين المعانى، فالفرد يكتسب الأفعال التى يفعل بها حياً أو كرهاً، ولا يكون لها دلالة إلا إذا إنفعل بها، فالانفعال يضىء دلالة على الشئ المكتسب وبالتالي على المعنى كما أن الفرد لا يستطيع أن يكون أى اتجاه نحو أى موضوع إلا إذا كان له جانب وجدانى. ومما هو جدير بالذكر أن مشاعر الإنسان قد لا تُلاحظ مباشرة، وإنما أن نستدل عليها من السلوك الظاهر، ومن الحديث عنها بالاستبطان ومن الممكن أن ننظر إلى الانفعال بوصفه خبرة شعورية. وقد استخدم منهج الاستبطان على نطاق واسع لتعرف على المكونات الأساسية للخبرات الانفعالية وتحليلها. (محمود الزىادى، ١٩٨٠، ١٩٦٦، ١٩٧٠). وهذه الخبرات الانفعالية التى يمر بها الفرد لا تدخل ضمن السياق الخاص بالفرد إلا إذا دعمت انفعالياً. وتراكم هذه الخبرات الانفعالية المدعمة يساعد الفرد على تكوين المعانى لدى الفرد، فالذى يدعم المعنى لدى الفرد، هو إدراكه لمثل هذه الفرص التى تدعم الخبرات الانفعالية عنده، سواء كانت هذه الخبرات سعيدة أم بائسة المهم هنا أن تكون خبرات انفعالية محفزة. أى أن تكون الخبرات مكافئة للفرد انفعالياً، ولذلك فهو يعمل على تكرارها أو تكرار السلوك الذى يؤدى إليها ليحصل على التدعيم الإنفعالى. وليتكون المعنى لتكرار هذه الخبرات والتى لا بد أن تكون لها مواصفات خاصة كأن تكون متكررة ولها درجة من الشده والتأثير. وأن تكون مكافئة للفرد انفعالياً.

ومن المهم أن تكون هذه الفرص محفزة للفرد بغض النظر عن الإيجابية أو السلبية فى الانفعال التى يدركها الأفراد والخاصه بالخبرات المكافئة للفرد من الناحية الانفعالية والتى ترتبط بالانفعال مثل الكره أو الحب ولكن التحفيز عن طريق الحب يكون مؤثراً أكثر من التحفيز عن طريق الخوف أو الكره؛ لأن كل من الكره والخوف يدفعان الناس للهرب من الخبرة المرتبطة بهما.

ويؤكد كولين (خلال ما عرضه لمقياسه لقياس) الطريقة التى يدرك بها الفرد الفرص التى تدعم الخبرات الانفعالية ((Perception of Opportunities For Rewording Emotional Experience POREE)) والتى يجعل الفرد يبحث عن الخبرات المكافئة له انفعالياً، والعمل على تحقيق وإنجاز وتكرار مثل هذه الخبرات المكافئة انفعالياً. (Leath,1999)

ل) الجوانب العقلية والمعرفية وتكوين المعانى :

مما لا شك فيه أن للجوانب العقلية والمعرفية دوراً مهماً فى تكوين المعانى لدى الأفراد حيث أن الفرد يمر بالأحداث والمواقف التى يدركها ويفسرها وفقاً لطبيعة قدراته، ويكتسب من خلال بعضها المعانى الخاصة به كالنجاح أو الفشل - الحب أو الكره، وهنا يختلف الأفراد فى تكوينهم للمعانى وفقاً لقدراتهم المعرفية. ولكسى يتكون المعنى لا بد من وجود الفرد الذى يتكون عنده المعنى وكم من المدخلات التى تدخل ضمن حيز الفرد والتى تتنوع بين خبرات وثقافات ومعارف . . . الخ، مع مراعاة الفترة الزمنية التى يمر بها الفرد. وتلعب عملية

العزو دوراً مهماً في عملية تكوين المعاني حيث يعزو الأفراد كل ما يكتسبونه ويحصلون عليه من نماذج وخبرات على مدار الحياة.

ويفسر كيلي (وهو أحد المؤسسين لنظرية العزو) العزو من خلال ثلاثة عوامل: هي الأفراد، والمدخلات، والنماذج الزمنية وترتكز هذه النظرية على مفهوم التغاير Covariance ويعتمد هذا النموذج على ملاحظة التأثير بين المثير الخارجي والفرد الملاحظ والموقف الذي يحدث فيه السلوك، وتتلخص هذه النظرية في أن تفسير السلوك يتم من خلال ثلاثة عوامل هي الأفراد والمثيرات والنماذج. ويتوقف عزو الأفراد في وقت معين على إدراك درجة إتقانها مع استجابات معينة وعلى تميزها عن استجابة الفرد لمثير آخر. ومن المسلمات الأساسية في نظريته أن وجهة نظر الإنسان في العالم الذي يحيط به يكون هو الأساس الذي يحاول استخدامه باستمرار لتفسير ما يحدث حوله، وبهذه الطريقة فإن الإنسان يفسر أو يعيد تفسير عالمه الخبري الخاص به. (ديتس تشايلد، ١٩٨٣، ٢٥٥)

وقد حاول كيلي في نظريته التقريب بين وجهات النظر السلوكية والحدسية والاستدلالية للشخصية من خلال نظرة الفرد في العالم الذي يحيطه بحيث تكون هي الأساس الذي يحاول استخدامه باستمرار لتفسير ما يحدث من حوله، وبهذه الطريقة فإن الفرد يفسر عالمه الخاص به من خلال العمليات التي يقوم بها الفرد لتشكيل توقعاته للحوادث التي يمر بها وتعتبر نظريته من النظريات التي حاولت فهم السلوك الإنساني على أنه رد فعل للمثيرات. ويتضح من النظريات الثلاث اقتراح وجود عملية عقلانية منطقية تتم من خلال تجميع المعلومات في اتساق يؤدي إلى عملية العزو. وقد أجريت عدة دراسات لمعرفة ما إذا كان هذا التحيز نتيجة لدافع من جانب القائم بعملية العزو كى يشعر بالراحة ويظهر بالمظهر الطيب أمام الآخرين أم أنه نتيجة قصور معرفي من جانبه في الانتباه وتشغيل المعلومات. (فاروق عثمان، ٢٠٠١، ١٢٠ - ١٢٣)

ومن هنا تتضح أهمية إدراك الفرد للأحداث أو الخبرات والطريقة التي يفسر بها لنفسه هذه الخبرات، وبالتالي أهمية الجوانب المعرفية التي تعتمد عليها نظرية العزو والتي تعتبر من العمليات الأساسية في تكوين المعنى حيث أن الفرد لا يتبنى معنى ما قبل أن يكون قد مر بهذه الخبرات، وقام بمثل هذه العمليات المعرفية.

م) معنى الحياة وبعض العوامل الديموجرافية

م/١ معنى الحياة والفئات العمرية المختلفة: هل تختلف المعاني باختلاف مراحل العمر؟
تختلف نوعية المعاني التي يتبناها الأفراد لحياتهم باختلاف المراحل العمرية ويرجع ذلك إلى اختلاف متطلبات ومحددات كل مرحلة عمرية. فمثلاً مرحلة آخر العمر يكون معظم الأفراد قد حققوا أهدافهم وزوجوا أبنائهم وأتموا فترة عملهم وبالتالي تكون هناك متطلبات أخرى تختلف بالطبع عن باقي المراحل العمرية الأخرى

المراهقة والرشد مثلاً. والارتباط هنا بين المعنى والهوية أو أزمة الهوية هي عملية بحث عن المعاني أو مصادر أخرى للمعاني يستطيع الفرد أن يضع بها لحياته أهدافاً يحققها من خلالها ليرضى عن حياته ونفسه ويعيش في سلام.

وعلى الرغم من أن العلماء يربطون بين أزمة الهوية ومرحلة المراهقة إلا أن الباحثة قد نجد هذه الأزمة موجودة في مراحل مختلفة من العمر كأزمة منتصف العمر والتي تحدث إذا ما تسببت الأزمة في فقد أو عدوم وضوح لما حققه الفرد من أهداف في حياته. وقد تندلع أزمة منتصف العمر بقوة عند من لم يحقق هويته في مرحلة المراهقة، وفي بداية حياته العملية، فالأسئلة الوجودية التي لم يجب عليها في مرحلة المراهقة فجأة تظهر وتتطلب الإجابة عليها في منتصف العمر. وقد وجدت مايسة النيال أن بعض الرجال الذين يعانون من هذه الأزمة يراجعون أنفسهم عن كل ما حققه في حياتهم وهل يرضون به أم لا وتحديث الأزمة (مايسة النيال، ١٩٩٨). ويؤدي ذلك لعدم وضوح المعنى في حياتهم فإذا كانت نتيجة المراجعة غير مرضية، وبالتالي يبحث عن مصادر أخرى للمعاني يستقى منها أهدافه ويعيد ترتيب حياته مرة أخرى، وإن لم يجد فيكون عدم الرضا عن الحياة هو النتيجة.

هذا المعنى للحياة يكون له قيم وإطار عمل ونظام وعلاقة تتشكل من خلال إدراكاته التي يملك من خلالها بعض الأهداف فمعنى الحياة بمفهومه الشامل يتضمن جميع الخبرات السارة وغير السارة والتي يمر بها الفرد، التي تظهر في صورة السلوكيات والاستجابات للمثيرات المختلفة في البيئة والمجتمع وتعتبر في مجمله دلالات ذات مغزى لتأصيل حياة الفرد في مجتمعه. ويؤكد مايكل كروث Michael Kroth على أهمية فهم العلاقة الارتباطية بين مهمة الفرد في الحياة وشعوره بمعناها. ومن يمتلك الأهداف التي يكافح من أجل تحقيقها، ومن يضع لنفسه مفهوماً إيجابياً لمعنى الحياة يدرك حياته باعتبارها ذات صلة بالحياة ومشاعر الإمتلاء.

(خيري حسن، حسن علام، ١٩٨٩)

ويشير "جيجير، Geiger وآخرين" ٢٠٠٤ أن العمر عامل هام وفي تحديد مستويات الفرض من الحياة من دراسته على الطلبة (أعمارهم أقل من ٢٥ سنة فأكثر (Geiger, et. al, 2004) كما كشف جري ريكير Gary T. Reker (٢٠٠٥) في دراسته لمعنى الحياة مجموعات عمرية مختلفة، أن لكل عمر نموذج من المعاني الشخصية مختلفة عن العمر الآخر. (Reker, 2005).

كما وجد ريكير وآخرون أن هناك دلالات إحصائية ترجع للعمر الزمني في أربع متغيرات من معنى الحياة. وهي: البحث عن الأهداف، ومعنى المستقبل وتقبل الموت وأعراض الحياة ولم يظهر تأثير دال للعمر في المتغيرات الثلاثة الأخرى وهي الخواء الوجودي والتحكم في الحياة والرغبة في معرفة المعنى، كما وجد نامي (Niemi, 1984) أن طلاب المدرسة الثانوية عكسوا بوضوح معنى كبير للحياة وأظهروا اهتماماً للإجابة عن الأسئلة الوجودية. وجد عبد الباسط متولى ١٩٩٧ فروقاً جوهرية ترجع للعمر الزمني في المراحل العمرية.

وأكدت "بارتور، وسافايا" ٢٠٠١، التأثير العام للعمر: حيث وجدت فروقاً في مصادر المعنى في الحياة بين المجموعتين العمريتين (٢٠-٤٠ سنة) و (٦٠ سنة فأكثر) في أغلب المناطق.

وقد كانت بعض من مصادر المعنى أكثر أهمية للراشدين الأصغر (مثل: الاهتمامات المادية)، بينما وجدت المؤشرات الأخرى كانت أكثر أهمية للراشدين الأكبر سناً (مثل، القيم العائلية والعامية). ولم تكن الفروق بين المجموعات العمرية ثابتة فقد تم تعديلها عبر الجماعة العرقية. لذلك تبرز الفروق العمرية بين الراشدين الصغار والكبار فقط في مجموعة عرقية واحدة، أو كانت درجتها أعظم في مجموعة عرقية واحدة عن الأخرى. (Bar-Tur & Savaya, 2001)

٢/٢ معنى الحياة والنوع: هل تختلف المعاني باختلاف النوع؟

سبق الحديث عن تكوين المعنى والسياقات التي يتم فيها تكوين المعاني لدى الفرد وتبين منها أهمية عمليات التنشئة الاجتماعية في تحديد مهام الأدوار التي تلقى على عاتق كل من الفتاة والفتى، بل وتحدد من جانب آخر لهم الهدف المطلوب منهم تحقيقه في الحياة. من هذا الجانب لا بد من أن يختلف الذكور والإناث في تبنينهم معاني حياتهم وذلك لاختلاف الأهداف التي يرسمها لهم المجتمع الذي يعيشون فيه والذي يتحكم فيه الأسرة وتقاليدها وأعرافها. وقد أكدت بعض البحوث على اختلاف المعاني بينهم ((Reker, 2005)). فقد وجد هولمان فروقاً ذات دلالة إحصائية راجعة للنوع وذلك في أهداف الحياة لصالح الرجال كانوا أكثر وضوحاً للأهداف وأكثر تحقيقاً لها من النساء. كما وجد عبد الباسط متولى فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث على متغير معنى الحياة لصالح الذكور.

وهناك فروقاً بين الذكور والإناث في مواجهة الحياة وظروفها وأساليب وطرق مواجهتها وحتى في درجة الإحباط التي يصابون بها في حالة فقد المعنى في حياتهم. فقد كشفت دراسة ادواردز، وهولدين (٢٠٠٣) من أن معنى الحياة (كمبنى إحصائي) له تأثير مهم في مواجهة الانتحار ويختلف الذكور والإناث في ذلك. فقد كشفت التفاعلات الإحصائية التي أجريت على الذكور والإناث على متغيري إحساس التماسك والتأقلم التنبؤ ومع متغيرات الانتحار ارتبطت بكل أنواع الانتحار (فكرة - الماضي المستقبل) لدى النساء، بينما ارتبط فقط بفكرة الانتحار لدى الرجال. (Edwards & Holeden, 2001)

١/٢ دور النوع وتأثيره على المعنى طول فترة الحياة:

أدركت النظريات الارتقائية حالياً تأثير النوع على ارتقاء الأفراد على مدى العمر، والارتقاء الانفعالي، المعرفي، الوظيفي الفريد للنساء وترجع هذه الفروق ليس فقط الارتقاء الفزيولوجي والنفسي الخاص للنساء، ولكن أيضاً بدرجة عظيمة من بيئتهم الثقافية والاجتماعية. وتقتصر الدراسات الطولية المتوفرة أن النساء والرجال قد يسلكون طرقاً مختلفة تماماً للوصول لأساليب متكاملة وناضجة للتوافق والدفاع، ونظراً لأن الفروق بين الرجال

والنساء طوال فترة الحياة تتعلق بقوة بالثقافة والبيئة الاجتماعية وتأثيرها على أدوار وهوية النوع، فالإختلافات الجنسية تكون أكثر وضوحاً في المجتمعات التقليدية عن المجتمعات الحديثة (Bar-Tur & Savaya, 2001).

ولم تجد "بارتور، وسافايا" ٢٠٠١ ، فروقاً تقريباً بين الرجال والنساء في مصادر المعنى في الحياة في دراستهما للتأثير العام للنوع. فقد كان للنوع تأثيراً رئيسياً دالاً على واحد فقط من الـ ١١ من مصادر المعنى في الحياة: فمصاحبة الحيوانات كانت أكثر أهمية للرجال عموماً عن النساء. ووجد للنوع تأثيره في منطقتين أخرتين، معدلة بالجماعة العرقية (دلالة النوع x تفاعلات الانتماء العرقى على مؤشرات ٩ و ١١) وبالعمر (النوع x تفاعل العمر على مؤشرات ٩ و ١١). بين اليهود، كانت نشاطات وقت الفراغ مع الآخرين مصدر أكثر أهمية للمعنى بالنسبة للنساء الأكبر سناً من للنساء الأصغر وللرجال الأصغر من الرجال الأكبر سناً. وكانت نشاطات وقت الفراغ مع الآخرين مصدرأ أكثر أهمية في المعنى للرجال من النساء بين العرب، (في المجموعتين العمريتين) وللصغار مقارنة بالمسنين بين الجنسين (Bar-Tur & Savaya, 2001)

ج- نوعية الحياة Quality Of Life

يتأثر تكوين المعاني بنوعية الحياة التي يعيشها الفرد ومدى إدراكه لهذه النوعية من الحياة التي يعيشها. من حيث جودتها وطبيعتها، وطبيعة الأعمال التي يؤديها والظروف المحيطة به، ويرتبط مفهوم جودة الحياة بعدة مفاهيم نفسية كالحاجات، القيم، الإدراك الذاتي، الاتجاهات، الطموح، التوقع، الرضا، التوافق، الصحة النفسية. وفي واحدة من أحدث الدراسات - التي اهتمت بنوعية الحياة لدى الأطفال كما تشير إليها تقديراتهم لمستوى الرضا عن الحياة وتقدير الذات قام هوبنر Huebner (١٩٩٩) بتطبيق كل من استبيان " وصف الذات " self description (SDQ-11) ، " ومقياس الرضا عن الحياة " Life Satisfaction Scale وأشارت نتائج التحليل العاملي إلى وجود اختلاف بين الأطفال على هذه المقاييس . (العارف بالله محمد الغندور ، ١٩٩٩) .

اختلفت الأطر النظرية التي تنظر لمفهوم نوعية الحياة، واتخذت بذلك عدة زوايا: اجتماعية وأثروبولوجية، نفسية، طبية. (العارف بالله محمد الغندور ، ١٩٩٩) وقد ربطت الدراسات الحديثة بين المعلومات الخاصة بنسبة الوفيات (Mortality)، والمعلومات المرتبطة بنوعية الحياة (Quality of life) . ووجدوا أن الاستمرار على العلاج الطبي لنوعيات معينة من الأمراض كضغط الدم وأمراض القلب والسرطان تحسن من نوعية الحياة، وهناك عدة مناحٍ لقياس نوعية سنوات التكيف النوعي الحياة (Quality-adjusted life-years) ، منها : هذا المنحى الذي يجب أن نتبع فيه عدة خطوات هامة، أو أن نصنف الأمراض طبقاً لمستويات وظيفية موضوعية، وهذه المستويات تقاس بعدة مقاييس مثل مقاييس : نسبة الوفيات Mortality ، ومقاييس النشاط الفسيولوجي Physical activity ، ومقاييس الأنشطة الاجتماعية social activity . ثم يتم وضع هؤلاء الأفراد الذين تم قياسهم بالمقاييس الموضوعية السابقة على متصل متدرج تتراوح درجاته من (. - ١٠) ويسمى " التوظيف الأمثل والموت optimum function and death ، وبعد ذلك يحدد موضع الأفراد على هذا المتصل.

(McCabe, Prielee, 2002 Kaplan, 2001, 522-524) ، فضلاً عن أثر المساندة الاجتماعية ، وأهمية الشبكة الاجتماعية في تخفيف الأثر المؤذي للضغوط على المعنى والصحة والتي تساعد كبار السن على التأقلم بإيجابية أكثر مع الضغوط وذلك بتعديل إحساسهم بالمعنى في الحياة وهذه الملاحظات تؤدي، وهذا يعطى الفرصة للباحثين للتدخل وتحسين نوعية الحياة التي يعيشها هؤلاء الأفراد. (Neale, 2004)

وعموماً فإن نوعية الحياة بالنسبة للفرد تعبر عن مجموعة المطالب والحاجات التي يؤدي إشباعها أو توفيرها بشكل كامل إلى جعل الفرد سعيداً أو راضياً، فلا بد أن نعني أن المسألة لم تعد أرقاماً وإحصاءات وإنما استجابات ومشاعر ، وذلك لأن مؤشرات نوعية الحياة تهدف إلى استجلاء العائد والمردود النفسى للظروف المعيشية للأفراد ، والتي تتشكل من خلال الإحساس الجمعى المتأثر بقيم وثقافة المجتمع الذى يقدر أشياء دون غيرها وفقاً لقيمه وثقافته التي تختلف بالتأكيد من مجتمع لآخر بل من فئة اجتماعية لأخرى، كما تتغير عبر الفترات الزمنية بنفس الشكل (هناك محمد الجوهري، ١٩٩٦). والذى يهمننا هنا تناول الجانب النفسى لنوعية الحياة، وتتمثل في كيفية التعبير عن الإدراك الذاتى للحياة، لأن هذا الإدراك الذاتى يؤثر على تقييم الفرد للمؤشرات الموضوعية للحياة ، كالدخل والمسكن والعمل والتعليم... الخ ، كما أنه يمثل في أحد مستوياته انعكاساً مباشراً لإدراك هذا الفرد لجودة الحياة التي تتوقف على مدى أهمية هذه المتغيرات بالنسبة للفرد، في وقت محدد وفي ظل ظروف معينة ، ويؤثر كل ذلك بوضوح على سعادة الفرد أو شقائه، (العارف بالله محمد الغندور، ١٩٩٩).

وهناك عدة أسئلة في هذا الموضوع طرحها الباحثون - في هذا الموضوع منها: " هل العوامل الموضوعية (المؤشرات الاجتماعية/ اقتصادية العامة كالدخل - السكن... الخ) أو الذاتية (إدراك الفرد لهذه المتغيرات، وشعوره بالرضا ، أو عدم الرضا عنها) هي الأرجح في تحديد رفاء الأفراد ؟ وهل المؤشرات الذاتية لا يمكن تحجيمها أو تبديلها بمؤشرات موضوعية تنوب عنها ؟ وقد شغلت هذه الأسئلة المهتمين بدراسة نوعية الحياة منذ زمن طويل - وما زالت تشغلهم إلى اليوم - دون أن يستطيعوا التوصل إلى إجابات محددة أو قاطعة. فيجب أن تراعى وضع الاعتبارات الذاتية في إطارها الكلى المتكامل بمعنى التعرف على تأثير أى زيادة أو تحسين في الظروف الموضوعية على درجة الرضا الذاتى. (هناك محمد الجوهري، ١٩٩٦). هذا بالإضافة إلى ما أضافه علم الأحياء الجديد للشيخوخة من تحسن لنوعية الحياة لكبار السن، والنتائج الاجتماعية المترتبة على زيادة فترة الحياة الإنسانية (بمشيئة الله)، والتي قد تسبب قلقاً في التخطيط لفترة عمر أطول. فتجعل الأفراد يخططون لحياتهم بشكل أطول وأعمق وأغنى. فامتداد قيمة الحياة تعتمد على جودة المعيشة والخطط ثم تقييم حاجات امتداد الحياة والتخطيط لها ومدى تأثيرها في قيمة الحياة نفسها، والتي تختلف باختلافات هذه المعيشة التي يجونها، وبالتالي على الخطط التي يخططونها لحياتهم، وتتطلب منهم مواصلة نفس العلاقات المماثلة في العمل، وتحقيق أهداف جديدة كالزواج، والأطفال، والترقى، والترحل، أو أن تكون أهداف دينية كالعبادة، فالأهداف على أية حال قد تكون غير محددة. (Gems, 2003)

القسم الثالث: الشخصية ومتغيراتها

(أ) تمهيد :-

(ب) نموذج العوامل الكبرى للشخصية "الوعاء الدولي للبنود".

(ج) نموذج السمات المكونة لأبعاد ايزنك "بعد صلابة – مرونة التفكير

(د) بعض متغيرات الشخصية

د/١ وجهة الضبط

د/٢ الوحدة النفسية

د/٣ قوة الأنا

(هـ) معنى الحياة والشخصية

القسم الثالث : الشخصية ومتغيراتها

تمهيد:

ترى الباحثة أن من يدرس معنى الحياة لا يمكنه - بأى حال من الأحوال - إغفال الشخصية كجانب مؤثر وأساسى في بناء وتكوين المعانى لدى الأفراد، كما يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند تفسير اختلاف الأفراد في تبنيتهم لمعانٍ دون غيرها. ومن المعروف أن جانباً كبيراً من الشخصية يتكون عبر سنوات الحياة، ومن الخبرات والمؤثرات والمواقف التي يتعرض لها الفرد، لذلك فلكى نعرف مدى ارتباط المعنى بالشخصية فإنه ينبغي النظر إليها من خلال السياقات المتعددة التي يُفعلها ويتفاعل معها الإنسان، والتي تتضمن خصائص الثقافة والتي قد تولد أو تهمل خصائص ما من شأنها أن تخلق معانى دون غيرها. وتتفاعل الشخصية (بجوانبها المختلفة البيولوجية والنفسية والاجتماعية) مع خصائص الثقافة التي من آلياتها عمليات التنشئة الاجتماعية، لتكون نسقاً أو نظاماً للمعاني خاصاً بالأفراد. يختلف من ثقافة إلى أخرى. فهناك مثلاً مناخ ثقافى يولد التشدد أو التسامح ويكون هذا المعنى ضمن نسق أو نظام المعاني لدى أبناء هذه الثقافة. وقد وجد "ألك وآخرون" أن الأفراد يختلفون في خبراتهم الانفعالية وهذه الاختلافات ترتبط بالثقافة، فقد تبين أن الانفعالات الموضوعية، والمعتقدات، والرضا عن الحياة تتحكم فيها خصائص الثقافة الفردية والجماعية. كما وجد أن والانفعالات الموضوعية والرضا عن الحياة ترتبط أكثر بخصائص الثقافة الفردية. (Kwang,et. al,2003)

وتعتبر نظريات الشخصية الإنسان كياناً مستقلاً له مكوناته وصفاته، وهذا ما يحدد الفروق الفردية بين الأفراد، وتفترض هذه النظريات نظاماً وعملياتاً للشخصية تساعد على فهم وتفسير وتوقع سلوك الأفراد، فتفسر نظرية التحليل النفسى سلوك الأفراد من خلال البناء النفسى الخاص بها: "الهو"، و"الأنا"، و"الأنا الأعلى"، و"الصراع"، و"الكبت"، . . الخ. بينما تستخدم النظريات الإنسانية والوجودية مفاهيم: "الذات"، و"الذات المثالية"، و"الذات الحقيقية"، و"الذات المزيفة"، و"تحقيق الذات"، وتتحدث النظريات العقلية: عن "التفكير أو الحديث الداخلى" كأساس لتفسير السلوك، وتفترض نظريات العوامل أو السمات أن لكل فرد سمات ثابتة يمكن تفسير السلوك بها

وتتباين هذه النظريات في استخدام آليات التفسير مثل مفهوم الخبرة في النظريات الإنسانية- الفنونمبولوجية (ومن روادها: كيرجارد-بتروانجر- فرانكل- هيدجر- هوسسير- ماسلو- روجرز- لاينج- ريش- لوسن- ماى)، ومفهوم الأسباب في النظريات: السيكودينامية- المعرفية - العقلانى الانفعالى (ومن روادها: فرويد- يونج- اريكسون- كيلي- اليس-باندورا- ميشيليم)، ومفهوم النشاط في النظريات السلوكية- الامبريقية- المادية (ومن روادها: واطسون-سكينر-ايزنك-مورير-ميلر-رويتز)، ومفهوم الوعى

في نظريات الجشلت- الفلسفية (بيرلز)، ومفهوم السياق " الموقف: المنزل- العمل-الراحة-العابر (ومن روادها: ادلر-سوليفان-ليفين-بيرني-باركر-المعالجون الاسريون)
(مروان دويرى، ٢٠٠٤ ; Bryson,Mauer,2003 ; L'Abate,1994 ; Cloninger,1996)

وعلى الرغم من تمتع الفرد بكيان مستقل إلا أنه لا يعيش بمعزل عن المجتمع وثقافته الذى يشكل بعض من جوانب شخصيته، وذلك من خلال التعامل مع معطيات الثقافة والموروث البيولوجى والأيكولوجى (المناخ الطبيعى) وهو الأمر الذى حاول كل من "جولدبرج"، و"كوستا وماكرامى" دراسته لإيجاد إطار تصنيفى Taxonomic لتنظيم التشكيلة اللاهائية للاختلافات الفردية على مستوى الثقافات المختلفة كبديل عن الممارسة التقليدية التى تتضمن قياس بعض المتغيرات والسمات: كالحافز، والانجاز، الدجماطية (الجمود)، الانطواء والانبساط، والشعور بالذنب، والعداوة، ووجهة الضبط، والذكورة مقابل الأنوثة، والعصائية، والانفتاح والمواجهة، والتفائل، والاستبدادية، واحترام الذات، ومراقبة الذات، وقلق الاختبار، والثقة. . الخ ولتحقيق ذلك كان لابد من إيجاد حلول لعدة مشكلات تصادف هذا النوع من البحوث ومنها: الحاجة إلى إطار تصنيفى Taxonomic لتصنيف وتنظيم الفروق الفردية التى يمكن قياسها، ومحاولة وضع صياغة مشتركة مناسبة لهذه المفاهيم والبناءات الشخصية فى بنود قياسية عبر لغات متعددة. بالإضافة إلى تسهيل الإتصال والحصول على نتائج الدراسات والبيانات، لتيسير سبل المقارنة والمراجعة، والتعديل والتنقيح والإضافة، للتوصل لإمكانية تعميم النتائج (Goldberg,1999; Goldberg, 1996).

ويرى بعض الباحثين ومنهم "تريانديس، وهوفستد" أن سمات الشخصية توجد فى معظم الثقافات، وأن الأفراد يتوزعون على محور الفردية - الجماعية "Individualism- Collectivism" ولكن تفسير سلوك الأفراد يكون أقل فى الثقافات الكلية عنها فى الفردية، بالإضافة إلى أن التنبؤ بالسلوك - من السمات - يكون بصورة أوسع فى المجتمعات ذات الثقافة الفردية النوعية عنه فى الثقافة الكلية الجماعية. ولكن ليس معنى ذلك أن الفوارق الثقافية والحضارية تتجاهل وجود الصفات العالمية بأى حال من الأحوال.

(مروان الدويرى، ٢٠٠٤ ; Triandis,1995 ; Eunkook,2002; Triandis&suh,2002; 1998).

وفى هذا الصدد ذكر "هوفستد" (١٩٩٤) أن نتائج عدد من مشاريع البحوث قادتة لتصنيف الثقافات الوطنية على خمسة أبعاد. وجدت الأربعة الأول منها بمقارنة قيم المستخدمين والمدراء فى ثلاثة وخمسين فرعاً وطنياً تابعاً لشركة IBM وهذه الأبعاد هى:

١) مسافة القوة، أو درجة عدم المساواة بين الناس التى يعتبرها سكان بلد ما على نحو طبيعى: من متساوى نسبياً إلى غير متساوى تماماً.

٢) الفردية، أو الدرجة التى تعلم بها الناس فى بلد ما للتصرف كأفراد بدلا من كونهم أعضاء لجموعات متماسكة: من جماعى إلى فردى from collectivist to individualist.

٣) الذكورة، أو الدرجة التي عندها تسود قيم ذكورية متمثلة في قيم مثل التوكيدية والأداء والنجاح والمنافسة على "قيم أنثوية مثل: نوعية (جودة) الحياة، الاحتفاظ بعلاقات شخصية دافئة، الخدمة، الإهتمام و الرعاية، والتضامن: من القسوة إلى اللين.

٤) تجنّب الغموض والحيرة، أو الدرجة التي يفضل عندها الناس في بلاد ما المواقف المنظمة على غير المنظمة: من مرّن نسبياً إلى متصلّب جداً. وفي بحث لاحق، وجد بعد خامس للاختلافات بين الثقافات. فقد نتج عن دراسة الأستاذ "مايكل إتش. بوند" Michael H. Bond للجامعة الصينية هونج كونج الاختلافات القيمة بين الطلاب في ثلاثة وعشرين بلداً مختلفاً باستخدام استفتاء صمّم أصلاً باللغة الصينية. أنتج تحليل البيانات أربعة أبعاد، ثلاثة منها مشابهة جداً لثلاثة من أبعاد IBM (ماعدًا تجنّب الغموض والحيرة)، أما الرابع فجديد تماماً وذو مغزى. وهو البعد الخامس في أبعاد تصنيف الثقافات.

٥) التوجه طويل المدى (LTO) كـنقيض "للتوجه قصير المدى". تم تقدير القيم إيجابياً مع التوفير والمثابرة؛ في حين كانت قيم احترام التقاليد والتراث، وتحقيق التوقعات الاجتماعية. و يمكن القول بأنّ التوجه طويل المدى يتعلّق بالنمو الاقتصادي. (Darwish,2005 ; Hofstede,1994)

هذا ويرتبط بذلك الاحساس العامّ بالمعنى الشخصي على مظهرين مختلفين ولكن متكاملين هما:

" المعنى الضمني أو التعريفى " ، الذي يشير إلى تعلق الأهمية الشخصية للموضوعات و الأحداث في الحياة، " والمعنى الوجودى او حمل المغزى". والمعنى الوجودى المعنى هو بؤرة بحثنا. وهو يشير إلى محاولات فهم كيف تتوافق الأحداث في الحياة وتتركب في سياق أعم وأكبر. بما يتضمنه من عملية خلق واكتشاف للمعنى، وطرح أسئلة مثل "ما قيمة المعيشة؟" و "ما الغرض من الحياة؟" فالرغبة والبحث عن المعنى عمليات محورية في تكوين المعنى الوجودى. عرف كل من "ريكر، وونج" and Wong Reker (1988) المعنى الوجودى على انه إدراك الترتيب، والتماسك، والغرض من وجود الشخص وإحساس الإنجاز والتحقق المصاحب لذلك. فهو تركيب متعدّد الأبعاد يتكون من مكونات معرفية، ودافعية مترابطة مثل: القيم، والمعتقدات، والشعور بالرضا والإنجاز. وهذه المكونات تستقى من مصادر متنوعة تمثل محتويات مناطق الموضوعات الشخصية التي تستخرج منها الخبرات كما قال "كوستا، وماكراى" 1992. فالقيم والمعتقدات هما حجر الأساس لمصادر المعنى، ولذلك، تتفاوت وتنوع طبقاً للخلفية الثقافية والعرقية، والخصائص الديموجرافية الاجتماعية sociodemographics، والمرحلة الارتقائية. وهذه المصادر تتضمن أنماطاً من التصرفات، وأهدافاً للحياة (Reker, 1999). هكذا، يعكس أداة القياس المسماة مصار معنى الحياة (SLM) التفاعل بين موضوعات الحياة على المستوى الدقيق micro level والمستوى العام macro level الذى يحدد تاريخياً وثقافياً نظاماً للقيم ودرجة تكامله.

وموضوعات الحياة هي التفسيرات الذاتية للميراث الثقافي للفرد، فهي تعبر عن وضوح النمو الشخصي، المعيشة، واشتقاق المعنى من نوع معين من الخبرة الثقافية، وهذه الموضوعات تفسر وتوحد وتعطي الجوهر لإدراكات الناس عن أنفسهم ومن يكونون، وكيف يرون أنفسهم كمشاركين في الحياة الاجتماعية. والقيم هي التعبيرات عن الأفكار والمثل التي يتم تبنيها للسلوك البشري تنشأ عن وتصف مجتمع ما عبر حقبة تاريخية معينة. فهي ما يحدد مكان الفرد بوضوح ضمن السياق الثقافي التاريخي، وتساعد على تشكيل بنية الحياة و تستديم بها.

ويمثل عدد المصادر المختلفة للمعنى طبقاً لـ"ريكر 1999 Reker، سعة المعنى. واقترح "ريكر، و ونج" أنه زاد تنوع مصادر المعنى تؤدي إلى إحساس أعظم بالإنجاز والتحقق. كما عرفا عمق المعنى كدرجة مدركة من التفوق الذاتي. فقد اقترحا أربعة مستويات للعمق يمكن تصنيف خبرة المعنى على أساسها: المستوى الأول؛ الانشغال الذاتي بالسرور اللذي hedonistic pleasure والراحة. المستوى الثاني؛ تكريس الوقت والطاقة لإدراك الإمكانيات البشرية؛ المستوى الثالث: خدمة الآخرين، والالتزام بأسباب عامة اجتماعية وسياسية. أما المستوى الرابع، فهو المستوى الأعلى هو قيم التفكير والتأمل والتي تتجاوز الأفراد وتشتمل على معنى كونيا وغرضاً هائياً. وقد وجد "أكور، وتشامبرلاين، 1996، دلائل واضحة على الفروق في عمق المعنى تتراوح بين الانشغال الذاتي وحتى المستوى الأعلى. واقترح "بوميستر" 1991، بما أن الحياة تتضمن تغيرات ثابتة، فإن المعنى مبني على الاستقرار والديمومة، فكلما زادت التوقعات من الحياة، فإن القيم الثقافية المشتركة تستمر حتى الأعمار الكبيرة. (Bar-Tur & Savaya, 2001)

وفي هذا السياق اختارت الباحثة نموذجين لدراسة الشخصية، بالإضافة إلى بعض المتغيرات الأخرى التي ترى من وجهة نظرها قربها لموضوع معنى الحياة. ثم تعرض لمعنى الحياة وارتباطه بالشخصية والثقافة تعرضه فيما يلي:

(أ) نموذج يأخذ في اعتباره الصفات العالمية في المجتمعات الكلية مستوى العوامل الكبرى يتخطى الثقافات ويقس الشخصية من خلال (International Personality Item Pool) الوعاء العالمي للبنود الذي أعده جولديبرج.

(ب) نموذج لقياس سمات الشخصية في مجتمعات بعينها من خلال مقياس "ايزنك ويلسون" صلابة ومرونة التفكير.

(ج) بعض متغيرات الشخصية:

ج/ ١ وجهة الضبط ج/ ٢ الوحدة النفسية ج/ ٣ قوة الأنا.

(د) معنى الحياة والشخصية والثقافة.

أ) نموذج العوامل الكبرى "الوعاء العالمى للبِنود :

١/ التعريف به :

نشأ في الربع الأول من القرن العشرين الاهتمام بالمنحى النفسى اللغوى Psycholinguistic approach وهو المنحى الذى يهتم بدراسة المتغيرات النفسية وخاصة الشخصية الإنسانية من خلال الترميزات اللغوية المختلفة التى تصف هذه الخصائص. وقد أثار العلماء في مجال الشخصية منذ بداية الاهتمام بهذا الفرع من الدراسات النفسية عدة قضايا تخص بتصنيف الصفات التى يجب أن تكون عليها الشخصية الإنسانية. ولقد وجد علماء نفس الشخصية ضرورة وجود نموذج وصفى أو تصنيفى يشكل الأبعاد أو العوامل الأساسية للشخصية عن طريق تجميع السمات المرتبطة معاً، وتصنيفها أو إدراجها تحت بُعد أو عامل مستقل يمكن تعميمه عبر مختلف الأفراد والثقافات. (بدر الأنصارى، ١٩٩٧).

وقد كان السير "فرانسيس جالتون" F. Galton رائد القياس النفسى الكبير من بين العلماء الأوائل الذين اعترفوا بشكل واضح بالفرضية المعجمية الأساسية" والتى تعنى أن الاختلافات والفروق الفردية الأكثر أهمية في الصفات الإنسانية سيتم ترميزها وتُشفِّرها كتعبير اصطلاحى واحد في بعض أو كل لغات العالم. علاوة على أنه كان بالتأكيد واحداً من أوائل العلماء الذين لجئوا لاستشارة قاموس اللغة كوسيلة لتقدير Estimating عدد مصطلحات وصف الشخصية في المعجم ولتقدير المدى الذى تشترك فيه أوجه Aspects مصطلحات وصف السمات أو "مسمياتها" في معانيها. فقد ضمن "جالتون" عدد المصطلحات المتعلقة بالشخصية في اللغة الإنجليزية والتي تم تحديدها فيما بعد بشكل امبيريقى تجربي؛ أولاً من قبل ألبرت وأودبرت (١٩٣٦)، الذي استخرج هذه المصطلحات من الطبعة الثانية لقاموس ويبستر الكامل، ولاحقاً من قبل نورمان (١٩٦٧)، الذي أكمل القائمة السابقة بالمصطلحات من الطبعة الثالثة من نفس القاموس. تعلق بصيرة "جالتون" بالعلاقات بين مصطلحات الشخصية نُسخت في جهود المحققين التاليين لاكتشاف طبيعة تلك العلاقات، لكي يَبْنِي تمثيلاً بنائياً لوصفات الشخصية descriptors (Goldberg,1993). وتابع جهود جالتون كل من "كلاجس" (١٩٣٢)، و"بوجارتن" (١٩٣٣) والبرت وأودبرت (١٩٣٦) بالبحث في معاجم اللغة للتوصل لصفات أو سمات تشير إلى السلوك لدى أفراد من البشر (بدر الأنصارى، ١٩٩٧)

وكان ل. ل. ثurstون من بين هؤلاء الباحثين ورائداً للعمل في مجال البحوث التى تستخدم التحليل العاملى ولم يتابع "ثurstون" تحليله المبكر لهذه الصفات الـ٦. وبدلاً من ذلك اختار إعادة تحليل مقاييس الاستخبار الذى طوره "جيلفورد". وقادته التدويرات المائلة للمقاييس الثلاثة عشر لجيلفورد إلى تطوير العوامل السبعة في جدول ثurstون للمزاج (Thurstone,1953)، وقد انعكس ولاء "ثurstون" للتدوير المائل في التحليل العاملى على عمل "رايموند ب. كاتل Cattell"، الذي بدأ استكشافاته في الشخصية بالاقتران بحوالى

(٤٠٥٠٠) مصطلح لوصف السمات والتي تضمنتها استخلاصات "البورت وأودبرت" عام ١٩٣٦، وفي عام ١٩٤٣ استعمل "كاتل" هذه القائمة من السمات كنقطة بداية، والتي تم تنميتها في النهاية للوصول إلى مجموعة من (٣٥) متغير مركب جداً ذو قطبين، كل قطب في كل منها يتركب من مجموعة من الصفات والعبارات، هذه المتغيرات تم استخدامها في الدراسات المختلفة، وتم تحليل الارتباطات بين كل منها عملياً باستخدام إجراءات تدويرية ماثلة (Cattell, 1947; Goldberg, 1993)

٢/١ الفرضية المعجمية:

يسمى العمل النفس معجمي Psycho Lexical بالفرضية المعجمية أو بمعنى، أن كل الاختلافات الفردية على أى مستوى من الأهمية تعبرها موجود في اللغة. كما أن psycho lexically ليس خاصاً بالعمل النفس معجمي فقط بل أيضاً بعالم اللغة. فقد أكد عالم اللغة النفسى "جورج ميلر"، وفيلسوف اللغة العادية، "أوستن"، تلميذ لودفنغ فيتجنشتاين Wittgenstein L. أهمية الأفكار وتركيب الكلمات في هذا الصدد. والتي تُجسّد نصينا العادي من الكلمات في حياة العديد من الأجيال والتي بقيت وواجهت الاختبار الطويل للبقاء (أوستن، ١٩٧٠ ; p. 181 Boele De Raad, 1998) فاللغة لها أهمية في إنتاج المعاني وتحديد الهويات، وفي العلاقات العميقة والصعوبات وذلك عبر مراحل الحياة ومنذ الطفولة. (Medical Society News Leter, 2001)

ويذكر سوسير (٢٠٠٣) في نهاية دراسته حول بناء عوامل الشخصية في اللغة الإنجليزية مستخدماً نمط الأسماء Type-Nouns وليس أسماء الصفات Trait-Adjective أنه على الدراسات المستقبلية أن تقترب باهتمام نحو تفحص طبيعة ووظائف العوامل شديدة الكبر، والتقويمية مثل عوامل (عدم المقبولية الاجتماعية) (التحقير) Contemptibleness والتي تبرز في مجال دراسة الشخصية عبر أسماء السمات وليس الصفات. علاوة على ذلك، فيجب على الدراسات المستقبلية أن تعطي مزيداً من الانتباه نحو المستويات التي تركز على استخلاص عامل الواحد أو عاملين في وصف الشخص والتي لها ظهور بارز، ويبدو أن لها عمومية عالية داخل البيانات الفردية. وتسهم في تكامل المناحي التي تدرس الصفات والحصل الملحوظة والعمليات الدينامية في دراسة الشخصية. فعلى مستوى أكثر خصوصية تشير الدراسات المعجمية لنمط الأسماء إلى الأهمية الاجتماعية لمتغيرات الجاذبية والذكورة (أو الفحولة أو العورة في وصف الشخص، مما سيكون مفيداً إذا أعطتها النماذج البنائية للشخصية مزيداً من الاهتمام وأخذتها في اعتبارها، فقد وضع استناد معظم دراسات اللغة الطبيعية للشخصية على فرضيات لا مبرر لها. وبشكل مُحدّد، لا نستطيع افتراض أن كل اللغات لها تصنيفات وصفية عريضة وعامة مثلما يوجد في اللغة الإنجليزية واللغات الأوروبية الأخرى. ولا يُمكنُ افتراض - بدرجة كبيرة - أن تلك الخواص مُثّلة فيها بنفس الأسلوب في الأسماء والصفات. لذا هناك كثير للتعلّم من تحديات ما وراء الطرق المحرّبة في وصف السمات والميزات (Saucier, 1999 , Saucier, 2003).

وقد كشفت دراسة نارليانا وآخرون ١٩٩٥ عن أن الطيبة ويقظة الضمير من أكثر أبعاد الشخصية الخمسة التي يصفها الأفراد. (Narayanan, et. al, 1995) والخلاصة أن الحاجة ماسة إلى مقياس معرفي عبر ثقافية يمكن من خلاله تعميم النتائج. (Lucia, et. al. , 2002)

٢/أ بعض القضايا المثارة حول هذا المشروع وكيف حاولوا التغلب عليها :

- ١/٣/أ الحاجة لوجود إطار تصنيفي taxonomic لتنظيم التشكيلة اللاهائية من الاختلافات الفردية المزعوم قياسها
- ٢/٣/أ الحاجة لوجود صياغة مشتركة لبنود المقياس بعدة لغات، تأخذ في اعتبارها اللغات الفرعية في البلد الواحدة.
- ٣/٣/أ الحاجة لوجود غط للاتصال متاح للجميع لتبادل الخبرات، المعلومات، والتقارير، ونتائج الدراسات السابقة، ومناقشة المشكلات التي تقابل التطبيق والوصول لأنسب الحلول فيها. وحتى يتم حذف بنود غير صالحة أو إضافة بنود جديدة.
- ٤/٣/أ مراجعة الجداول والارتباطات من الدراسات التي تتم، والمتابعة المستمرة للتطبيق في مختلف الميادين.
- ٥/٣/أ إمكانية تطوير المقاييس وتحسين خصائصها، وعمل دراسات تفيد الصدق المقارن.
- ٦/٣/أ دراسات أخرى على النموذج.

١/٢/أ بالنسبة للإطار التصنيفي لتنظيم خواص الشخصية :

ظلت عملية تقدير الشخصية راکدة خلال العقود الماضية، إلى أن أصبحت هناك حل لمشكلة التصنيف taxonomic الأساسية في تقدير الشخصية . فقد تم عمل تحليلات لعينات كبيرة لبعض سمات الشخصية أدت إلى وجود تمثيل هيكلي عموماً في أغلب الأحيان يمكن أن يسمى باسم (العوامل الخمسة الكبرى للشخصية دراسات (waller, 1995; Noraynan, et. al, 1995; Raad, 1998; Mccr, et. al, 2002)

يمكن النظر إلى هذا النموذج كتركيب هرمي على قمته العوامل الكبيرة الخمسة أو قرب قمة التدرج، وفي سفحه أو الدرجات الدنيا منه توجد العديد من المستويات الدنيا والتي تقاس بالعديد من المقاييس (واسعة الموجه broad-bandwidth personality inventory) على الرغم من أن هناك اتفاقاً بين الباحثين على العوامل الكبرى في الشخصية في حين لا يوجد مثل هذا الاتفاق حول المجموعة المثالية من مظاهر المستوى الأدنى. على سبيل المثال، هناك ٤٥ بعداً ذا قطبين في (ab5c) "نموذج العوامل الخمسة الكبرى" الذي اقترحه كل من هوفستي، وديراد، وجولدبرج ١٩٩٢ Hofstee، دي راد، وجولدبيرغ (١٩٩٢)؛ كما أن هناك ٣٠ بعداً ذا قطبين في نموذج العوامل الخمسة "لكوستا، وماكراي" في مقياسهما الجديد المراجع؛ كذلك هناك حوالي ٣٠ إلى ٣٥ مظهراً مقياس كاليفورنيا للشخصية لجوف (cpi سي بي آي)؛ وهناك عوامل كاتل الأساسية المشهورة

الـ١٦ في التركيب الهرمي في مقياس عوامل الشخصية الستّ عشر (١٦ بي إف). لأن الاتفاق حتى الآن لم يحصل على التفوق النسبي لأي من هذه التراكيب التي تعالج المستوى الأدنى المتنافسة، حتى يمكن أن يقارنوا بشكل تجريبي. (Lewis,Goldberg, 2004 ;Lewis,Goldberg,1999)

أ/٢/٢ فيما يخص تطوير صيغة مشتركة :

اعتمدت نتائج التحليلات في مقياس العوامل الخمسة الكبرى في تعرف على الاختلافات بين الأفراد على الصفات والاسماء والأنواع التي تستخدم في معاجم لغات العالم. وهناك على الأقل ثلاث مشاكل مرتبطة باستخدامها :
أولاً، نفس الصفة التي تزود قوّتهم الرئيسية في دراسات taxonomic أساسية، فليس هناك ما يكفي من الصفات لتكرار وثبات هذه المقاييس في مناطق الشخصية المختلفة.
المستوى العالي جداً من التجريد للصفات والسمات وأسماء النماذج للشخصية في مستوى العالي فحتى الدرجات الدنيا منها تظل مجردة بدرجة ما عن واقع السلوك الذي تصفه.
عدم توحيد الترجمات التي قد لا تكون واحدة في اللغات المختلفة، والتي تكون نتيجة لتجريد الصفات والسمات وأسماء النوع.

أ/٢/٣ تطوير الصياغة المشتركة للبنود :

لذلك اقترح جولدبرج استخدام صياغة واحدة للبند نبدأ هذا المشروع يستعمل صفات أكثر سياقية contextualized ، وأطول من مجرد وصف السمة، وتظل كذلك قصيرة نسبياً أو شبه مضغوطة، وقد اقترح هذه الصياغة فريق دراسة الشخصية بمجروننجن Groningen، والمكون من Hofstee ، DeRaad ، و Hendriks حيث اقترحوا هذه الصيغة للبنود واستعملوها لتطوير الوعاء الأولي لأكثر من ألف بند بالهولندية الألمانية Dutch والتي تمتوا أن يغطي العديد من مظاهر عوامل الشخصية الخمسة الكبرى وكانت النتائج معتمدة على تحليلات (٩١٤) من هذه البنود الألمانية، وقد عمل جولدبرج مع فريق Groningen لترجمة البنود إلى مكافئها الإنجليزي. ومن هذا الوعاء الأولي للبنود الإنجليزية الإنجليزية الأولية، تم اختيار حوالي (٧٥٠) من ترجماتهم الأصلية، وبعد ذلك أضاف حوالي (٥٠٠) بند جديدة من الإنجليزية والتي ليس لها حتى الآن ترجمات ألمانية. وكان الوعاء الناتج من (١٢٥٢) بنداً إنجليزياً، والتي سميت بالوعاء الدولي لبنود الشخصية (IPIP) - وتم تطبيقها على عينة من ثلاثة أجزاء من الراشدين، كما طبق أعضاء هذه العينة مقياساً من (٣٦٠) صفة لوصف سمات الشخصية ، والذي يتضمّن (١٠٠) مؤشر أحادي القطب على بناء العوامل الخمسة الكبرى (جولدبرج، ١٩٩٢)، بالإضافة إلى مقياس من (٥٢٥) لوصف صفات الشخص المألوف في اللغة الإنجليزية. مع استكمال هؤلاء المشاركين لتشكيلة بنود من مقاييس الشخصية التجارية الموجودة، مثل اختبار

كالفورينا CPI؛ واختبار كاتل ١٦ PF؛ NEO-PI-R لكوستا وماكراى، مقياس الخلق والمزاج TCI لكونولينجر وزملاؤه.

٤/٣/أ نمط الاتصال بين المحققين:

تم عمل وسيلة للاتصال بين العلماء الراغبين في الاشتراك في تطوير هذا المشروع، من خلال مواقع الانترنت لتبادل المعلومات والنتائج وإضافة نتائج أخرى.

٥/٣/أ بعض الدراسات الأولية لمؤشرات الصدق والثبات :

دراسة أولية للصدق المقارن:

يعترض أيزنك على صدق هذه العوامل ويتساءل لماذا نحصل على نتائج مختلفة من تصنيف كلمات مختلفة؟ وأيها يعطينا النتائج الصحيحة؟ وكيف نرهم على صدق هذه العوامل؟ وهل هذه العوامل لها معنى؟ (Eysenk,1993) ورغم هذه الاعتراضات إلا أن هناك دلائل أولية مناسبة جداً بخصوص الثبات والصدق التنبؤي لمقاييس الوعاء الدولي لبنود الشخصية. فقد عرض جولديج لدراسة كبيرة تتحدث عن الصدق المقارن لمقاييس شخصية الراشدين يقارن فيها بين تطبيق العديد من المقاييس الشائعة في سوق الاختبارات، ومقارنة نتائجها بنتائج الوعاء الدولي لبنود قياس الشخصية على عينة أمريكية بلغت (٨٠٠) فرد أكمل منها البيانات (٤٢٣) فرداً وهي عينة متعددة الخصائص (من ٢٢ حتى ٩٠ سنة، من مستويات تعليمية مختلفة) وحسب الصدق لعدة مستويات ووفق العديد من المحكات منها مستوى عمومية البند، الارتباط ببعض المحكات في بعض مجالات السلوك كالسلوك التنظيمي والصناعي، وبعض المحكات الاكلينكية، وخرج بنتائج مرضية جداً عن أداء المقياس العالمى لبنود الشخصية للراشدين والذي يمتاز بالصدق والثبات وقابلية التنبؤ، وله مجموعة من المؤشرات (مائة بند أحادي القطب) تمتاز بنفس الخصائص. فقد وجد تكاملاً بين الأبعاد الخمس الكبرى ومنحنى بناء السمات يتكامل النموذج الكامل للخمسة أبعاد للشخصية والنموذج المختصر للعوامل الخمس من الوصف المعجمي والحاصل عليها من التحليل العاملي لـ ٦٣٦ تقديراً ذاتياً على ٤٥٠ سمة ((Hofstee,Raad,Goldberg , 1992)).

وتظل مشكلة تعميم النتائج قائمة حتى تتجمع الدراسات من أكبر عدد من بلدان العالم وتحلل النتائج وتقارن ليس فقط بدرجات المقاييس، ولكن بالطبيعة البيولوجية الخاصة بالشعوب المختلفة، فضلاً عن نوعية الثقافة وخصائصها في البلد الواحد بل في فروعها الداخلية (الثقافات الفرعية في داخل البلد الواحدة. وقد حاول شسنيج وآخرون (٢٠٠٣) عمل مراجعة لنتائج بعض مقاييس الشخصية على بلاد من قارة آسيا من ضمنها مقاييس عبر ثقافية. (McCrae,Costa,1997) هذا فضلاً عن محاولات أخرى لدراسة العلاقة بين الفردية/الكلية في دراسي عبر ثقافية استخدمت فيها قائمة هوفستيد للفردية في العديد من البلدان (Jose,et. ,al,2003). في دراسة وبتجميع كل هذه المقارنات يمكن الوصول إلى بعض القواعد التي يمكن بها أن

نحکم علی تعمیم نتائج الدراسات التي أجريت في هذا الشأن حتى الآن فبعض الدراسات عبر الثقافية حاولت إظهار دلائل عبر حضارية للمظاهر الأساسية للانبساط بما فيها من: حساسية الفرد للمكافأة الداخلية- تدعيم الموقف الاجتماعي - الثقافة الفردية/الموقف الاجتماعي يعود إلى التدعيم (Lucas, et. al, 2001). كما ظهر كذلك في بعض المراجعات التقويمية الحديثة - خاصة نموذج "كوستا" - وماكراي" عدم وجود تأكيد لعمومية النموذج عبر الثقافات بالرغم من تبنيه للأساس البيولوجي الجيني بل وأعطت تلك المراجعات تأكيداً مؤقتاً لنموذج الاستثمار الاجتماعي الذي يؤمن بأن ارتفاع سمات الشخصية ناتج عن الخبرات التي تتراكم لدى الفرد من تعامله في المواقف والأدوار المختلفة إجتماعياً. (Roberts et. al. , 2005). كما كشف (روبين وآخرون) في دراستهم عن أن سمات الشخصية تكون ثابتة على ومستمرة على مدار السنين ولا تتغير بالطرق المنظمة. (Robines et. al. , 2001) ولم يقف البحث عند هذا الحد بل وصل تفكير الباحثين إلى البحوث الخاصة بالعائلة حيث راجع (روس) المفاهيم النظرية والإمبريقية في هذه البحوث والتي تتضمن ارتفاع الأطفال. وتوصل إلى ضرورة أن تتضمن مثل هذه البحوث دور علم الوراثة، الدور البيولوجي وإرثباته بالممارسات العائلية، والانتماء العرقي. (Ross, 2004,365)

أ/٦/٣ دراسات أخرى على النموذج:

١- أظهرت دراسات أخرى ظهور (٦) عوامل "تركيب الشخصية ذو الست عوامل الصفات الوصفية" باستخدام (٧) لغات الهولندية، الفرنسية، الألمانية، الإنجليزية، الإيطالية، الكورية، البولندية. وقد وضع المؤلفون تقاريرهم عن محتوى تلك الأبعاد الخاصة بالشخصية ووضعوا المصطلحات للأبعاد كما يلي:

العامل الأول: الانبساط Extraversion والمعرف بالاجتماعية، والحيوية وليس من خلال الشجاعة والعنف.

العامل الثاني: الطيبة Agreeableness والمعرف باللطف والضمير، وبالغضب والمزاج المتقلب في قطبه السالب.

العامل الثالث: يقظة الضمير Conscientiousness ويشير إلى النظام والترتيب أكثر منه ضمير أخلاقي.

العامل الرابع: الثبات الانفعالي Emotionality ويتضمن القلق، والضعف، والعاطفية، وقلّة الشجاعة، وقلّة العنف ولكن لا يتميز بالغضب ولا بالمزاج المتقلب.

العامل الخامس: التواضع/الإذلال Honesty - Humility وهو عامل يشير إلى الثقة الخالصة والتواضع ونقص الجشع.

العامل السادس: الفكر أو الخيال التفكير أو الأسلوب الذهني. Intellect Imagination

(Ashton, et. al., 2004) وقد افترض ماكري وأخرون (٢٠٠٤) في دراسة على عدة ثقافات أن عوامل

العصائية، والانبساطية، والتفتح على الخبرة تزداد عبر العمر. (McCran, et. al., 2004)

٢- أظهرت دراسات أخرى ظهور (٧) عوامل "تركيب الشخصية ذو السبع عوامل الصفات الوصفية" على عينات مختلفة: أمريكا، وإسبانيا، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، وكانت الأبعاد كما يلي:

العامل الأول: الانبساط Extraversion - العامل الثاني: الطيبة Agreeableness - العامل الثالث: يقظة

الضمير Conscientiousness - العامل الرابع: الثبات الانفعالي Emotionality - العامل الخامس:

التواضع/الإذلال Honesty - Humility - العامل السادس: الفكر أو الخيال يشير إلى الغير تقليدي. Intellect

Imagination - العامل السابع: التكافؤ الإيجابي والتكافؤ السلبي Positive and Negative Valence

(Benit, Waller, 1995)

٣- أظهرت الدراسات ارتباط بين العوامل الخمسة الكبرى وبعض المتغيرات الأخرى كالتفهم، والرضا عن الحياة

(Barrio, 2004; Ramanaiah, 1997)

(ب) نموذج السمات المكونة للأبعاد الثلاثة الكبرى لأيزنك: بعد مرونة وصلابة التفكير :

Thought minded – tinder minded

اختارت الباحثة هذا البعد من أبعاد الشخصية "مرونة /صلابة التفكير" لارتباطه بأبعاد قريبة من مفهوم المعنى (الذى تتبناه الباحثة من وجهة نظرها) ويرتبط هذا البعد بالأفكار أو السلوكيات التى يقوم الفرد بالتخطيط والتنفيذ لها على مدار حياته، ويحتاج لتنفيذها أن يتسم ببعض السمات كتأكيد الذات والمرونة ودافعية للإنجاز والبحث عن الإستشارة بأبعادها: المخاطرة/البحث عن الخبرات الجديدة، وتعتبر العدوانية أحد سمات مقياس إيزنك "مرونة وصلابة التفكير" وتظهر من خلال سلوكيات مثل: نوبات الغضب العصبية، والقتال، والجدال العنيف، والسخرية وعدم تقبل الحماقة من أى شخص، والرغبة وعلى عكس العدوانية تكون سلوكيات تتميز بالرقّة، والهدوء، وتجنب النزاع الشخصى. والتوكيدية ذو صلة وثيقة بالعدوانية، ويتصف الذين يسجلون نقاطاً عالية بما ندعوه أحياناً "الشخصية القوية". فهم استعلايون، مسيطرون، لا يتنازلون عن حقوقهم، ربما للحد الذى يعتبرون فيه "اندفاعيين". أما الذين يسجلون نقاطاً دنيا فإنهم متواضعون، متبلدون، خاضعون، ولا يترعون إلى القيام بأية مبادرة فى وضع شخصى متبادل، وقد تفرض الأشياء عليهم بسهولة والتوجه إلى الإنجاز. ويتصف الذين يسجلون أرقاماً عالية بالطموح، والجد، والتنافس، والمهارة فى تحسين وضعهم الاجتماعى، ويمنحون قيمة عليا للإنتاجية والإبداع. أما الذين يسجلون أرقاماً دنيا فإنهم يمنحون قيمة ضئيلة للإنجاز التنافسى أو الإنتاج المبدع. ويتصف معظمهم بفتور الشعور، والانكفاء واللاهدفية، وهناك المعالجة أو التناول فالذين يسجلون أرقاماً عالية يتصفون بأنهم مستقلون، غير متحيزين، دهاء، دنيويون، محبون لمصالحهم، حذرون، ماكرون، يحسبون لكل شىء، ويتقدمون بمصلحتهم الذاتية فى تعاملهم مع الآخرين. ويتصف الذين يسجلون نقاطاً دنيا بأنهم ودودون، عطوفون، موثوقون، مستقيمون، محبون للغير، يلبسون مآسى غيرهم، وقد يكونون بسطاء طيبين يخدمون بسهولة. والأوائل منهم يسمون أحياناً بالمكافيلية لأنهم يتوافقون مع الفلسفة السياسية التى وضعها الكاتب الايطالى نيكولو مكيافيللى (يمثل هنرى كيسنغر عصر نهضة المكافيلية) والسعى إلى الحسية هو المقياس الخامس. ويوضح هذا العنوان ذاته بذاته. ويسعى الذين يسجلون أرقاماً عالية على نحو دائم إلى الإثارات فى حياتهم وهم دائمو الجوع إلى التجارب الجديدة ويسعون إلى "نشوة الطرب" ليدفعوا عنهم السأم. وإلى هذا الحد، يقبلون بمستوى معتدل من الخطر فى حياتهم. أما الذين يسجلون نقاطاً دنيا فإن حاجتهم للإثارة والمخاطرة قليلة. ويفضلون، عوضاً عن ذلك، متع "الحياة المترلية" الآمنة والأليفة. ويتضح ترابط هذا الشيطان الجسور مع الذكورة التقليدية "أعراض إيفيل نيف المتزامنة". والدجماطية ويتسم هذا المظهر السادس بواقعية التفكير. والذين يسجلون نقاطاً عالية، وضعوا لأنفسهم قواعد تتمثل بوجهات نظر متصلبة فى أغلب القضايا، ويحتمل أن يدافعوا عنها بعنف وصخب. أما الذين يسجلون أرقاماً دنيا فإنهم أقل صلابة، ويحتمل أن يروا الأشياء من خلال الأبيض والأسود. إنهم منفتحون على الاقتناع والاقناع العقلين، ومتسامحون إزاء عدم اليقين. (مجدى عبد الكريم، ١٩٩٣؛ سميحة أبو النصر، ١٩٨٣، ٦، ١٩٨٣؛ Wilson, Eysink, 1975)

ج) متغيرات الشخصية :

ج/ ٣ قوة الأنا.

ج/ ٢ الوحدة النفسية

ج/ ١ وجهة الضبط

ج/ ١ وجهة الضبط :

اشتق العالم "جوليان روتر" مفهوم وجهة الضبط من نظريته في التعلم الاجتماعي، حيث يرى أن نوع وجهة الضبط (داخلي - خارجي) يبنى على نوع التعزيز، ويتصل بالدرجة التي يدرك بها الفرد أسباب نتائج الأحداث في حياته، فينشأ لديه الاعتقاد في وجهة ضبط داخلي أو وجهة ضبط خارجي (ممدوح الكيلاني، ١٩٩١، ١٠٩) ومفهوم وجهة الضبط مفهوم قريب من مفهوم العزو الذي يعزو أسباب الأحداث إلى عوامل خارج الشخص أو إلى امكانيات وقرارات وبالتالي من الممكن أن يكون بين بعض العوامل المؤثرة في تكوين المعاني.

ويرى "روتر" أن الأفراد يختلفون في إدراكهم لمصدر التدعيم: فبعضهم يرى أن التدعيم يأتي دائما من الخارج، بينما يرى البعض الآخر أن مصدر التدعيم داخلي. ويفرق "روتر" بين هاتين الفئتين من الأفراد، فالنوع الأول يسمون ذوو الاعتقاد في الضبط الخارجي (Belief in External Control) والنوع الثاني يُسمون ذوو الاعتقاد في الضبط الداخلي (Belief in Internal Control) مع ملاحظة أن التدعيم في هذه الحال لا يقع إلا إذا كان الفرد شاعرا به ومدركا للعلاقة السببية بين أفعاله والنتائج المترتبة عليها، وعلى أساس إدراك الفرد لهذه العلاقة تقوى بعض أساليب ويضعف بعضها الآخر حسب ما تصادفه من تدعيم سلبي أو إيجابي (علاء كفاقي، ١٩٨٢، ص ٣-٤).

واعتبر الباحثون في مجال علم النفس الاجتماعي والشخصية - ولاسيما في الآونة الأخيرة - أن مصدر الضبط من سمات الشخصية، وتبين لهم ما لهذه السمة من قدرة على التنبؤ بدوافع الفرد وسلوكه في مواقف الحياة المتباينة، كما أنها أحد الجوانب المهمة في تنظيم التوقعات الإنسانية وتحديد مصادرها - فضلا عن كونها أحد المكونات البارزة في تحديد العلاقة الارتباطية بين سلوك الفرد وما يحدث بعده من نتائج تساعد على أن ينظر إلى إنجازاته وأعماله، وإلى نجاحه أو فشله على ضوء قدراته، وما يستطيع القيام به من مجهودات مبدولة ومثابرة في تحقيق أهدافه، وما يرجو من نتائج لسلوكه، وما يتخذه من قرارات حيال هذا السلوك (مايسه النبال ١٩٩٣ ص ٥٣٩).

وهناك عدة عوامل تسهم في تشكيل وجهة الضبط، وهي: العوامل الثقافية - العوامل المعرفية - عوامل الاستقرار (Stability). بالنسبة للعوامل الثقافية فإن ثقافة المجتمع تحدد وتحفز نوع وجهة الضبط للأفراد، فهناك المجتمعات التي تروج لقيم: الاستقلالية، والاعتماد على النفس، وتحمل المسؤولية (ضبط داخلي)، بينما

مجتمعات أخرى تشجع على : الاعتمادية، وتضخم من تأثير ذوى النفوذ وأهميتهم في تسيير الأمور الشخصية (ضبط خارجي). وهناك العوامل المعرفية التي تتحكم في الموقف مثل العوامل الدافعية كالتجارب السابقة، والمهارة السابقة، والمهارة المتوفرة، ودرجة احتياجه، وأورغبته في إنجاز المهمة المنوطة في الموقف... - وهناك أيضا العوامل الموقفية، وتشمل سياق الموقف بما يحمله من صدفة أو حظ، أو عوامل تدخل دون تخطيط أو تحكم. بالإضافة إلى وجود بعض عوامل ثابتة تكون وجهة الضبط كالقدرة وتأثير الآخرين، وذوى النفوذ، وعوامل متغيرة كالحظ وسياق الموقف. (سوسن عبد الهادي، ١٩٩٣، ١٤٢-١٤٣)

ومن خصائص الضبط الخارجى الحيرة في مواجهة مواقف الحياة المختلفة، خصوصا تلك المواقف المتعلقة باتخاذ القرار أو الاختيار، فضلا عن عدم قدرتهم على التأثير على الأشياء أو الأفراد في البيئة من حولهم، مما يميزهم بالسلبية. ووجهة الضبط شأها شأن أى نماذج سلوكية تخضع لقوانين التعلم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة بخاصة والمدرسة بعامة، وكلما حدث هذا التعلم في السنوات المبكرة من العمر أصبح أكثر ثباتا ورسوخا. فالطفل الذى ينشأ في أسرة سوية تتيح له قدرا أكبر من الحرية لإدارة شئون حياته وطريقة معيشته وتوجيه سلوكه الشخصى يمكنه الاعتماد على النفس، ويتحمل المسؤولية، ويشعر بالثقة الزائدة في نفسه وفي قدرته على النجاح ويعدل من سلوكه ويكتسب أنماطا جديدة من السلوك المرغوب فيه، ويتحدى المواقف الصعبة، ويقدر ذاته بصورة أفضل ويستطيع اتخاذ قراراته بنفسه وينشئ علاقات حسنة مع الآخرين، ويشعر بالأمن النفسى من قبل الأسرة الأمر الذى يؤدي بدوره إلى شعوره وإدراكه بأن التدييمات أو التعزيزات الإيجابية أو السلبية تتبع سلوكه الشخصى وتكون نتيجة له وتحدد بناء على أعماله وتصرفاته الذاتية الحسنه أو السيئة ترجع إلى عوامل داخلية يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها ولا ترجع إلى عوامل الحظ أو الصدفة مما يترتب عليه تعلم وتكوين سلوك الضبط الداخلى. أما الطفل الذى ينشأ في أسرة مضطربة وغير سوية فقد يتسم بسمات وخصائص نفسية غير مرغوب فيها مثل : الاتكالية، العدوانية، ضعف الأنا عدم تحمل المسؤولية، عدم الثقة بالنفس القلق، عدم القدرة على ضبط ذاته وضبط انفعالاته، الخضوع للآخرين ومحاولة مسايرتهم عدم تأكيد الذات الأمر الذى يدفع بالطفل إلى الاستسلام للظروف الخارجية وتأثير نفوذ الآخرين من ذوى السلطة والاعتقاد في عوامل الحظ أو الصدفة، والشعور بعدم القدرة على التحكم في النتائج التي تترتب على أعماله وتصرفاته الشخصية والتي تتحدد نتيجة لسلوكه الذاتى وبذلك يتعلم ويتكون لديه سلوك الضبط الخارجى (عماد عبد المسيح، ١٩٨٩، ص ١٧٥-١٧٦)

ج) الوحدة النفسية :

يرى عدد من الباحثين أن الشعور بالوحدة النفسية يعتبر بمثابة نقطة البداية لكثير من الاضطرابات النفسية والمشكلات التي يتعرض لها الفرد فيرى شبيتزبرج Spitzberg أن الوحدة النفسية لها علاقة بالقلق والاكتئاب والحجل ويؤكد كل من بيبلو وبرلمان Peplau & Perlman حيث يريا أن الفرد الذى يعانى من الشعور

بالوحدة النفسية يتسم بخصائص شخصية منها الإنطوائية والخجل وعدم الرغبة في القيام بأنشطة (عيد الباسط، ٢٠٠٤، ١٩٥)

الشعور بالوحدة النفسية خبرة مؤلمة تؤثر في تفكير الفرد بهدوء وصفاء وتنبع الوحدة النفسية من افتقاد الفرد للعلاقات الاجتماعية. (مايسة النبال، ١٩٩٣) والشخص الوحيد هو الذى يشعر بأنه غير منسجم مع من حوله، وأنه محتاج لأصدقاء، ويغلب عليه الإحساس بأنه وحيد، ولا يوجد من يشاركه أفكاره واهتماماته، ومن يشعر معه بالود والصدقة. وأنه يشعر بإهمال الآخرين له، وأنه لا يوجد من يفهمه، وأنه خجول، وأن الناس منشغلون عنه (محمود عطا، ١٩٩٣)

وقد ميز "ويس Weiss ١٩٧٣ بين نوعين من أنواع الوحدة النفسية أولهما: الوحدة النفسية الناشئة عن الانعزال الانفعالى، وثانيهما الوحدة النفسية التى تنجم عن العزل الاجتماعى. فالأول: نتاج غياب الاتصال والتعلق الانفعالى، فى حين يرجع النوع الثانى إلى انعدام الروابط الاجتماعية. وكلا الطرفين فى الواقع خبرتان مؤلمتان، فضلاً عما يصاحبهما من أعراض التوتر والاكتئاب وعدم الشعور بالراحة. وقد توصل "فايس" إلى أنه من الصعب أن يكون تكوين صداقة جديدة هو البديل للتخلص من الشعور بالوحدة النفسية فيميل الشخص الذى يعانى من غياب عنصر الحب فى علاقاته بالآخرين إلى الشعور بالوحدة النفسية المؤلمة وذلك على الرغم من إمكانية تواجد أصدقاء أو أطفال يمكن قضاء معهم بعض الوقت، وقد افترض كل من "روبنشتين، شافر" (١٩٨٠) على أن الوحدة النفسية التى يتعرض لها المراهق لها جذور فى مرحلة الطفولة، أى أن تعرضه فى سنوات عمره الأولى إلى خبرة الانفصال عن الوالدين، أو فقد أحدهما، أو النبذ والاهمال من العوامل المسؤولة لمشاعر الوحدة. فيبحث الإنسان بطبيعته عن الاقتراب Proximity من الآخرين، ولاشك أن تعرض الطفل فى سنوات عمره المبكرة إلى خبرة الوحدة يعد فى حد ذاته مؤشراً غير مطمئن وخطيراً فى الوقت ذاته لما سوف يكون عليه فى سنوات حياته اللاحقة. وتظهر هذه المؤشرات بجلاء، عندما يفصل الطفل عن والديه وخاصة الأم. (مايسة أحمد النبال، ١٩٩٣).

ج- قوة الأنا :

تعتبر قوة الأنا أحد السمات الشخصية والتى بدورها تؤثر فى تكوين المعانى لدى الفرد باعتبارها سمة من سمات الشخصية، وقوة الأنا عند "رايموند كاتل" Cattell سمة مصدرية Source Trait وفقاً لتصوره فى الشخصية وليست سمة سطحية، ودعمت نتائجه فى قياسها وتقديرها فى مقياسه (16PF) ما قالت به نظرية التحليل النفسى حيث أظهرت ارتباطاً سلبياً ثابتاً مع سمة العصائية والقلق، وهى سمة تتمثل فى عدم القدرة على التحكم فى انفعال الفرد ودفعاته، خاصة عندما تجذب بعض الإشباعات الواقعية للتعبير عنها، كما تبين دراساته على أن ارتفاع قوة الأنا كانت أقل عند بعض الحالات العيادية (الكليينكية) التى يكون موضوعها القلق المستمر،

والاستهداف للذنب، ويحدد "كاتل" قوة الأنا بعدم وجود كل من : الانفعالية الطفولية ، والمقلقات الزائدة، والاكتئاب ، والتفكير غير الواقعي والادراكات المهوشة.(مصطفى ترك ، ١٩٩٧؛ Cattell, 1967. p. p. 71-75) وتنشعب الدرجة المرتفعة على عامل (ج) [قوة الأنا] أو عدم الاتزان الانفعالي في مقابل قوة الأنا والثبات الانفعالي — في بطارية كاتل، ١٦ عاملاً للشخصية — ببعض الصفات والخصائص للفرد فهو واضح انفعالياً ومتزن، ومستقر في اتجاهاته وميوله — هادئ — واقعي بالنسبة للحياة، وخال من القلق، رابط الجأش. ويكشف أصحاب الدرجة المرتفعة على قوة الأنا عن مستوى من التكامل الدينامي والضبط الانفعالي الذي وصل إليه. أما الدرجة المنخفضة فتشعب بصفات ضعف القدرة على تحمل الإحباط ، وتقلب الاتجاهات، والميول، وسهولة الاستثارة، والانفعالية الزائدة، والمراوغة في تحمل المسئولية، والمعاناة من القلق، والاتزعاج وعدم الرضا عن العالم من حولهم ، ومن أسرهم والتبرم بقيود الحياة. (محمد نصر، ١٩٩٩ ، ص ٩٢، ٩١)

ومفهوم قوة الأنا من المفاهيم الرئيسية في المجال الإكلينيكي، ويشير هذا المفهوم إلى قدرة جهاز الأنا على القيام بوظائفه بكفاءة، كما يشير ضعف الأنا إلى عدم قدرة الأنا على القيام بهذه الوظائف بالدرجة المطلوبة لتحقيق التكيف الشخصي، والتكيف الاجتماعي. وضعف الأنا هو الذي يعبر عنه بالعصابية أو الاستعداد للإصابة بالعصاب، وتتصف قوة الأنا بالتححرر من الأعراض المرضية، وبالقدرة على تحقيق التكيف في الوسط الذي تعيش فيه، كما يتصف بدرجة عالية من التحكم في الذات، ويحسن استخدام مهاراته وقدراته إلى أقصى حد ممكن، ويستطيع مواجهة التحديات التي يتعرض لها، سواء أكانت داخلية أم خارجية. في المقابل نجد أصحاب الدرجة المنخفضة يتميزون بنقص في القدرة على ضبط الذات وعدم الكفاءة في التعامل مع البيئة الفيزيقية والاجتماعية، وعدم القدرة على الاستفادة من إمكانياتهم و قدراتهم، وسيادة مشاعر الذنب والاثم، والتقدير المنخفض للذات. (علاء كفاي ، ١٩٨٧)

ونظراً لعلاقة قوة الأنا بالصحة النفسية، يحدد "بيلاك"، ١٩٧٣ مجموع الوظائف الشعورية التي يقوم بها الفرد في سبيل اشباع حاجاه وتحقيق تكيفه من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد ترتبط بنوعية المعاني التي يتبناها الشخص فمن المنطقي أن الشخص الذي يتمتع بدرجة عالية على قوة الأنا قد تكون التوكيدية والانجاز لديه من المعاني الأساسية والمهمة في حياته وعلى العكس تكون درجاته اقل، ويذكر "دالستورم"، و"ولش" Dahlstorm & Welsh ، ١٩٦٥ ، أن قوة الأنا — عندما تكون مرتفعة — تتضمن القدرة على معالجة الضغوط: البيئية، والدافعية، والانفعالية. وتعنى بالضبط الكافي عند التعامل مع الآخرين، وتلقى قبولهم وممارسة تأثيرات حسنة عليهم، وتتضمن كذلك استخدام المهارات والقدرات الموجودة لدى الشخص بأقصى طاقة ممكنة، وتعنى أيضاً أن الشخص يمكنه العمل في إطار احترام الذات، وفي حدود الأخلاق الحضارية والاجتماعية والشخصية. ويتضمن انخفاض قوة الأنا نقصاً في كبح الذات والسيطرة على البيئة، ونقصاً في الوعي المعرفي الذي يعوق قدرة الفرد على معالجة الضغوط والمشكلات غير المألوفة والعقبات (أحمد عبد الخالق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٩).

ويتطور الأنا من الناحية التكوينية نتيجة لتفاضل الجهاز النفسى عند مواجهته للوقائع الخارجية، ونشاطه شعورى، وقبل شعورى ، ولاشعورى (حيل الدفاع) ويخضع فى تركيبه لمبدأ الواقع (التفكير الموضوعى ، والمتسم بأوضاع اجتماعية، والمعقول، فى المستوى اللغوى)، ويتكفل الأنا دون الهو والغرائز بالدفاع عن الشخصية وتوافقها مع البيئة ، وحل الصراع بين الكائن الحى والواقع، أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحى ، وينظم الوصول إلى الشعور والى التعبير الحركى، ويضمن الوظيفة التنسيقية. (لاجاش، ١٩٥٧، ص ص ٦١-٦٥)، كما أن تطور الأنا منبى للانفعالات الإيجابية والسلبية المستقبلية وعمليات الهوية (Helson,et,al., 2001) وتعنى قوة الأنا بوجه عام، القدرة على توافق الفرد مع نفسه، ومن حوله، والخلو من الأعراض المرضية العصابية، فهو القطب المقابل للعصابية. (أحمد عبد الخالق. ١٩٧٩، ص ٢٧٩)

د) معنى الحياة والشخصية والثقافة :

يلعب الإطار الثقافى الشامل للمؤسسات التنشئة وما يرتبط بها من معايير تحكم سلوك الأفراد - دوراً كبيراً- فى تشكيل وبناء الشخصية من خلال ما تقدمه من تدعيم لسلوكيات وقيم ومبادئ تتأصل لدى الفرد وتصبح أشبه بالتنظيم الثابت. ومن المسلم به أن الشخصية هى التنظيم الذى يتميز بدرجة من الثبات والاستمرار لخلق الفرد Character ومزاجه Temperament وعقله Intellect وجسمه Physique والذى يحدد توافقه المميز للبيئة التى يعيش فيها (دينس تشايلد، ١٩٨٣، ٢٤٤) وقد سبقت الإشارة إلى أن الشخصية جانب مهم من السياق الخاص بالفرد والذى يؤثر فى بناء المعنى. ويتأثر بالسياقات الأخرى المحيطة به، كالسياق العالمى والحقلى وهذه السياقات تتلون بصبغة ثقافية كلية (صفة العمومية) وفردية (خاصة صفة الفردية). وقد كشفت كثير من الدراسات على وجود خصائص عامة للثقافات بشكل عام: فيها ما يركز على الفردية Individualism ومنها ما يركز على الجماعية Collectivism. وتنقسم هذه الخصائص إلى اشكال ممارسات الأدوار المختلفة فمنها ما هو رأسى تراتبى هرمى ومنها ما هو عرضى. (Church,2000 ;Triandis,2002)

وتورث المؤسسات المختلفة للتنشئة خصائص هذه الثقافة عبر عملية تعلم كبرى لجميع الأفراد الذين تجتمعهم صيغة ثقافية ترتبط بهذه الثقافة فيتوافق مثلاً مع فردية التوجه وأساليب التنشئة المحفزة لخصائص الإنجاز، والتوكيدية، وتحديد الأهداف. . . الخ.

ومن جانب آخر تفترض بعض الدراسات بعالمية سمات الشخصية على المستوى الإنسانى؛ أى بإمكانية أن تكون سمات الشخصية بناءً عالمياً يمكن قياسه من خلال بعض المقاييس كالعوامل الخمسة "لكوستا وماكرى" والتي ظهرت على عينات مختلفة من أمريكا، واليابان، وكوريا، والبرتغال، والصين، والهند، (McCrae,et. al,1997)، هذا فضلاً عن دراسة Boele ١٩٩٨ (Raad,1998) . ودراسة Cheung وآخريين حيث كشفت عن أن أربعة من عوامل الشخصية الخمسة "الانبساط- الطيبة- الثبات الانفعالى- التفتح على الخبرة" عوامل عالمية (Cheung,2004;Cheung,et. al., 2003)

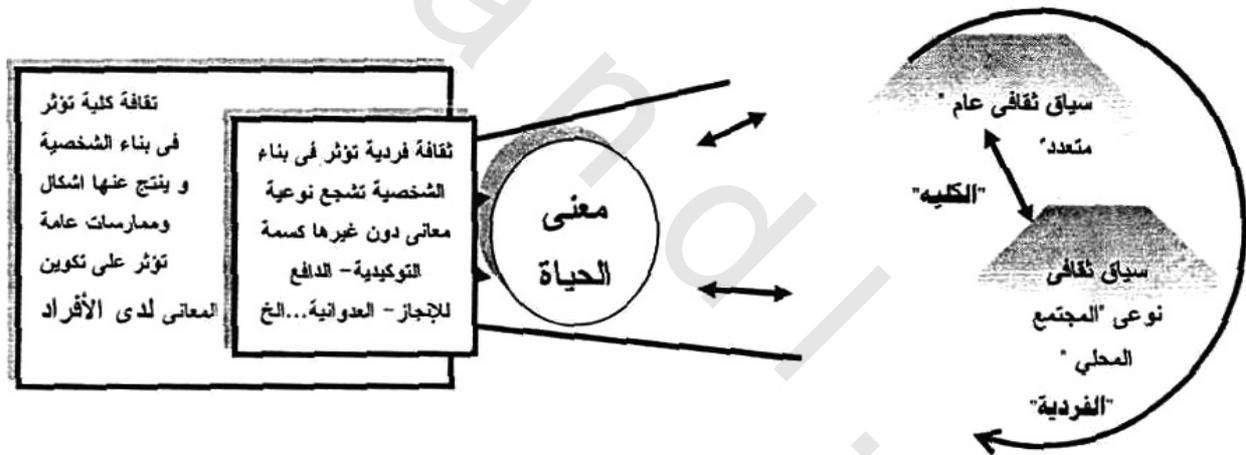
ومفهوم معنى الحياة وفق منظور الباحثة مفهوم مرتبط بأهداف يسعى الفرد لتحقيقها سواء كان هذا الفرد عضو في أسرة أو منتمى لطبقة ما، أو فرد في مجتمع محلي أو مجتمع عام عالمي ينتمي للإنسانية. فهو يحتاج إلى أوجه متعددة يحقق من خلالها أهدافه وبالتالي يحقق المعنى الخاص به. وقد كشفت دراسة "بايسلر وآخرون ٢٠٠٣" عن أن الفروق في مفاهيم معنى الحياة التي يتبناها الأفراد تتضمن عناصر الثقافة النوعية مثلها مثل عناصر الثقافة العالمية حيث درس تصنيف معاني الحياة لأربع مجموعات مختلفة من أمريكا الجنوبية من حيث: المكان، والمستوى التعليمي، والمستوى الاقتصادي. (Baessler, Judith, et. al, 2003).

ولذلك لابد من الوقوف على تأثير المستويين الفردي "المحلي" ("culture specific" EMIC)، الكلي "العالمي" ("universal" ETIC) فدراسة جانب دون آخر يغفل معلومات هامة عن طبيعة الموضوع المدروس. (Jardine, 2004) كما يتضح مما يلي:

١- سياق عام عبر حضاري للشخصية "عالمي" "universal" ETIC

٢- سياق محلي فردي ("culture specific" EMIC)، في مجتمعات بعينها.

ويوضح الشكل رقم (١٣/٢) والذي تقترحه الباحثة علاقة معنى الحياة بالشخصية والثقافة



شكل رقم (١٣/٢) مقترح يوضح علاقة معنى الحياة بالشخصية والثقافة

السياق العام :

ويوضح هذا المستوى مدى تأثير السياق العالمي على الشخصية ومدى ارتباط المعاني بها ويوضح أهمية الثقافة الكلية كعامل مؤثر في تكوين المعاني، فعلى مدى السنوات السابقة ترددت العديد من الأسئلة من قبل بعض العلماء منهم "Geertz" ١٩٧٣، "Shelley Rosaldos" ١٩٨٤، "Triandis" ١٩٨٩، والتي تدور حول دور الثقافة في التأثير على بعض المفاهيم مثل مفهوم الفرد عن نفسه والانفعالات وغيرها فهي تتأثر بمعاني

الثقافات الخاصة والعامة. وعلم النفس اهتم بالبحث في هذا الموضوع ومهتم أيضاً بالعمليات والطرق التي يستخدمها الأفراد في تكوين المعاني على المستويين العام (الجماعي) والنوعي (الفردى) (Markus&Kiayama,2003 ;Robin,2001 ;Church,2000).

وهنا نبحث في سمات جماعية ونرى ارتباط المعنى بها من خلال **العوامل الكبرى للشخصية** وهي الانبساط - الاتزان الإنفعالي - الطيبة - يقظة الضمير - الفكر.

السياق المحلى النوعى :

ويوضح هذا المستوى مدى تأثير السياق المحلى على الشخصية وتكوين المعاني وبالتالي لتعرف على نوعية المعاني التي يتبناها الأفراد دون غيرها في ثقافة ما لتسيير حياتهم فمثلاً المجتمع الذى تسوده ثقافة تشجع على العمل والإنجاز يكون المعنى المتوقع أن يتكون لدى الأفراد هو النجاح، بينما إذا كانت العلاقات الإنسانية والحميمية هى ما تحفزه ثقافة المجتمع فيكون الحب هو المعنى المتوقع تكوينه. وبالطبع يمكن للثقافة الواحدة أن تشجع أكثر من معنى. ويمكن أن نتعرف على ارتباط المعنى بسمات بعينها ترتبط بها.